١٨١

روايات احلام

من يريد القمر؟

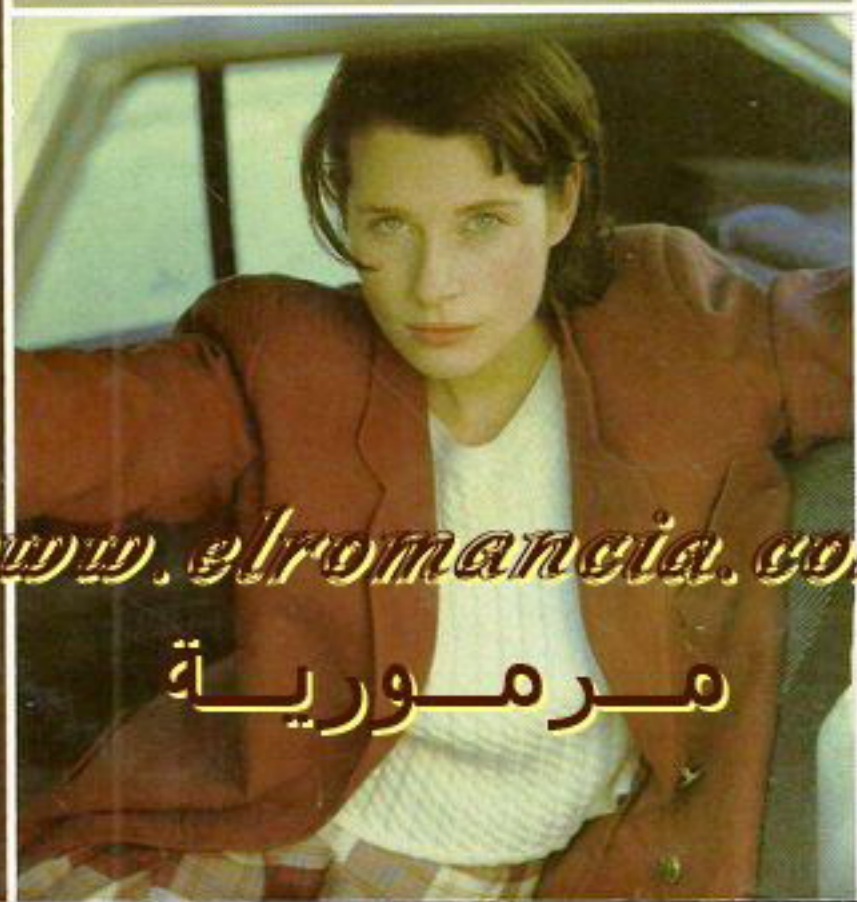

www.elromancia.com

مرمورية

من يريد القمر؟

ـ هل السيد كوانتريل متزوج؟

عندما طرحت كايسي هذا السؤال لم يخطر ببالها أن يفهمه ربّ عملها الجديد بشكل آخر، ولكن هذا ما حدث...

ـ إنني خبير بمثيلاتك من النساء، آنسة بيترز! أنت هنا للعمل وللعمل فقط... وإذا رأيت منك نظرة إغراء واحدة فسأطردك فوراً...

حاولت كايسي إقناعه أنها لا تريد ضمّ اسمه إلى لائحة غزواتها المزعومة ولكن محاولاتها كلها باءت بالفشل. وما زاد الأمر سوءاً أنها وقعت في غرامه رأساً على عقب...

لبنان ٢٠٠٠ ل.ل.	الإمارات.	مصر ٤ ج.	ليبيا
سوريا ٧٥ ل.س.	قطر ٦ ر.	المغرب ١٥ د.	اليمن
الأردن ١ د.	البحرين ٦٠٠ ف.	تونس ٢ د.	السودان
الكويت ٥٠٠ ف.	السعودية ١٠ ر.	عمان ٦٠٠ ب.	العراق

١ ـ البحث عن أعزب

حدّقت كايسي إلى حاجز مدفأة الغاز عصر ذلك الأحد وسرحت بأفكارها، تفكر في أن شهر شباط هو، حقاً، أكثر شهور السنة كآبة. . لكنها اعترفت لنفسها أن شعورها هذا لا يعود إلى الجوّ وحده، فلم يطلب منها أحد تقديم استقالتها آخر الشهر الماضي. بل على العكس كاد الذعر يمتلك ڤنسنت جينر، رئيسها السابق، عندما قدمت إليه استقالتها في الثاني من شهر كانون الثاني.

سألها بذهول: «ولكن لماذا؟ هل فعلت أو قلت ما أغضبك؟ إذا كنت غير راضية عن راتبك كايسي، فقولي فقط كم تريدين. . ».

أجابت بسرعة: «لا شيء من هذا».

أشاحت نظرها عن وجهه العزيز الطيب لكي تعطيه تبريراً، نصفه حقيقي، والنصف الآخر اختلقته. أخبرته كيف أمضت عطلة العيد مع أمها وزوجها، ثم قالت: «أظن أنني أخبرتك عن كفاح أمي الشاق في الحياة لكي تؤمّن لي إعداداً مهنياً جيداً».

فقال ڤنسنت برزانة: «أعلم أن أمك قاست كثيراً قبل أن تتزوج مرة أخرى».

ـ كنت أعرف فقط أنني تلقيت تعليماً وفّر لي هذا المستوى اللائق، ولكنني ما لبثت أن أدركت مبلغ جهلي بحقيقة معاناتها. . فقد أخبرتني أمي يوماً، ضاحكة، أنها في بداية معرفتها بزوجها لم يكن لديها سوى

ثوب واحد ترتديه في كل مرة تخرج فيها معه. وكان هذا يخجلها كثيراً.

بدأت الحيرة تظهر على وجه ڤنسنت، لأنه لم يعرف ما علاقة كل هذا باستقالة كايسي.

فقال بجاريها: «تقولين إنها لم تكن تستطيع شراء ثوب جديد».

كانت كايسي قد قررت ألا تسمح لمشاعرها بالتأثير فيها أثناء هذه المواجهة، ولكن ما إن تذكرت تضحيات أمها حتى شعرت بغصة في حلقها.

ـ لم تكن تستطيع شراء شيء جديد لنفسها، لأنها كانت تنفق كل قرش تملكه على تعليمي وكتبي المدرسية وثيابي، أي على كل ما يحق لي به لو كان أبي على قيد الحياة.

لم يكن ما قالته كافياً لتبديد حيرته، فأردف:

ـ لكنك رددت لها جميلها باكتسابك كل هذه المهارة. أنت أفضل سكرتيرة عرفتها، لذا بإمكانك الوصول إلى أرفع المراكز.

هذه فرصة ذهبية أتاحها لها بدون وعي فتمسكت بها:

ـ وهذا هو سبب رغبتي في الاستقالة. عليّ أن أطمح إلى مركز أرفع.. أشعر أن هذا دين عليّ أن أرده لأمي، لقاء كل تضحياتها. لذا يجب أن أتفوّق في مهنتي.

ثم أخبرته بسرعة قبل أن تخونها شجاعتها:

ـ قدمت طلباً للعمل كأمينة سرّ رئيس «مؤسسة كوانتريل».

صدر عن المدفأة فرقعة خافتة أعادت كايسي إلى واقعها، وعادت تفكر في ڤنسنت.. بدا عليه الكدر وجرح الكرامة، وراح يقنعها بأن تتخلى عن قرارها هذا. لكنها اكتشفت أنها ورثت عزيمة قوية. وما شعرت به من عذاب الليلة الماضية جعلها أكثر تصميماً.

أدركت كايسي أن مكوثها مع أمها فترة الأعياد، قد ساعدها على

التفكير في القيام بشيء ما. ومع أن أمها لم تشر إلى القيم التي حاولت أن تغرسها في نفسها وهي طفلة، إلا أن شيئاً استيقظ في أعماقها وهي في طريق العودة من بلدتها، فجعلها تقرر أن من الخطأ أن تمضي حياتها متلهفة إلى رجل متزوج.

لم يكن هذا يعني أن لدى ڤنسنت أية فكرة عن شعورها نحوه. فلم يخطر ببال كايسي إلا منذ حوالى ستة أشهر، أن ما تشعر به من تعاطف معه في الأزمات، قد يكون حباً. لقد عملت في مكتبه ثلاث سنوات، وكانت تعلم أنه مولع بها، لكنها لم تفكر إلا منذ أسابيع، حين كانت تمضي عطلة الأعياد في منزل أمها، أن لا فائدة ترتجى من ڤنسنت، حتى إن كان يحبها، ما دام متزوجاً بجولي. علماً أن زواجهما مضطرب.

عادت كايسي إلى بيتها في لندن يوم عيد رأس السنة. فأمضت بقية اليوم تفكر بتصميم في قرارها المؤلم هذا. أرادت أن تكون، بالنسبة إلى ڤنسنت، أكثر من مجرد أذن تصغي بعطف إلى شكواه عندما تهجره جولي.. فقد كانت جولي تعود إليه دوماً، وهذا يعني أن الحب ما زال يربطهما، لذلك رأت كايسي أن من الأفضل أن تغيّر وظيفتها.

كانت تلفّ بعض المهملات بجريدة يعود تاريخها إلى مساء يوم العيد، عندما وقع بصرها على إعلان يطلب سكرتيرة وأمينة سرّ لرئيس «مؤسسة كوانتريل»، فسارعت بتقديم طلب، وجاءتها الدعوة لإجراء المقابلة الأولى، ثم الثانية.

لم تقابل الرئيس شخصياً لأن إليوت كوانتريل كان خارج البلاد ولن يعود قبل منتصف شباط. لكنها قابلت أحد مديريه، السيد سيسيل غلوڤر الذي أخذ يقرأ الشهادة الممتازة التي زوّدها بها ڤنسنت، الذي كان منزعجاً ومتألماً لتركها العمل عنده. وهكذا استلمت الوظيفة على أن تباشر العمل في أول شباط.

كان ذلك منذ أسبوعين، وغداً ستقابل رئيسها الجديد لأول مرة.

تساءلت عما عسى أن يكون شعورها نحوه وهل يهم لو أنها لم تمل إليه؟ فهي علمت أنه دائم التنقل، لا يكاد يستقر في مكان واحد.

اتصل بها سيمون فلتشر من نادي «التنس»، طالباً منها الحضور إلى النادي للّعب.

اعتذرت لانشغالها، لكنه رفض عذرها قائلاً: «سرعان ما يصل المتبارون، ومع التمارين التي نقوم بها، يمكننا أن نفوز بالكأس».

ـ أليست سوزان معك؟ بإمكانها أن تشاركك في اللعب إذا...

قاطعها يقول: «أعلم هذا. ولكنها احتياطية فقط، أما أنت فشريكتي».

عندما وضعت كايسي السماعة، تساءلت عما جعلها ترتبط بتلك المباراة. فقد التحقت بالنادي فقط لكي تنشغل به عن الخروج مع الرجال الذين تعلم أنهم يريدون أن تصبح العلاقة معها جادة بعد عدة مواعيد. بعد هذه المخابرة خرجت لتستقل سيارتها تحت المطر ثم توجهت بها إلى النادي.

كايسي حادة الطبع، تتمتع بقوام ووجه تحسدها عليهما معظم النساء. ولكن أحداً لا يعلم بتعاستها الداخلية التي تشعر بها في الوقت الحالي، وكانت تبذل ما بوسعها للظهور بمظهر المودة والبشاشة اللتين كانت تتحلى بهما قبل أن تفترق عن ڤنسنت.

عندما دخلت النادي التف حولها عدد من الأعضاء الرجال، وشعرت بالتحسن لخروجها من بيتها.

حينما كانت تهمّ بالعودة إلى المنزل رأت سيمون يكثر من الابتسام ورأت سوزان بيليس متألقة العينين خاصة عندما قال لها سيمون: «سأقلّك إذا شئت، يا سوزان».

فكرت كايسي أثناء استعدادها للنوم، أنه ربما من الأفضل لو تكثر من الخروج، مع أنه ما من رجل في النادي، برغم لطفهم جميعاً،

قد نال إعجابها بشكل يدفعها للخروج عن عشها الآمن.

استلقت كايسي في سريرها، ثم أخذت تفكر في الغد. لقد وجدت العمل سهلاً في «مؤسسة كوانتريل»، لكنها غداً ستقابل الرئيس شخصياً.. سمعت أنه كثير الحركة، فتوقعت أن يكون المحيطون به مثله.

وكان هذا يناسبها تماماً. العمل يبعدها عن التفكير في ما يشغل ڤنسنت حالياً.

ما لبثت أن أبعدت أفكارها عن ڤنسنت ووعوده بأن يبقى على اتصال بها، وأخذت تفكر في المقابلة الثانية التي ستثبتها موظفة في «مؤسسة كوانتريل». كان السيد «أوينز»، أحد المدراء، قد ترك لديها انطباعاً بأنها لم تنجح في الفوز بالوظيفة، لو لم يدخل سيسيل غلوڤر ويقول إنها أفضل المتقدمات.

ثم تذكرت جوابها الغبي عندما سألها المدير:

ـ والآن، هل لديك أية أسئلة؟

خطر في ذهنها، على الفور، قصتها مع ڤنسنت، رئيسها السابق، فإذا بها تسأله بدون وعي: «هل السيد كوانتريل متزوج؟».

لحسن الحظ، لم يبد على أي من الرجلين ما يدل على اعتبارهما هذا السؤال سخيفاً، كما بدا عليها. لقد دفعها توتر أعصابها إلى طرح أسئلة لا صلة لها بالموضوع، وقد أجيبت بأنه غير متزوج. ثم علمت أنها إذا قبلت الوظيفة، فسيكون عليها القيام بأعمال إضافية لأن سكرتيرة السيد كوانتريل الحالية معه في كندا، لكنها ستبقى في فرعهم الكندي.. لا بد أنها بارعة لكي تستحق هذه الترقية. وكانت كايسي واثقة من أنها قد تحظى بالترقية نفسها حين عودة إليوت كوانتريل، فهي أيضاً تطمح إلى الارتقاء في عملها.

كان يوم الاثنين كئيباً كالذي سبقه، لكنها صممت على أن تترك في

نفس رئيسها الجديد انطباعاً جيداً في أول لقاء لهما، فأبعدت عن ذهنها فكرة أنها تفضل الذهاب إلى مكتب فُنسنت.

خطر في بالها أن الرئيس قد يزور المكاتب الأخرى، قبل التوجه إلى مكتبه حيث هي. أي ليس قبل منتصف النهار. ومع ذلك، ارتدت طقماً أنيقاً ذا لون أخضر باهت لا يخفي أنوثتها.

ولكن عندما انفتح الباب في تمام التاسعة، ودخل رجل طويل داكن الشعر في منتصف الثلاثينات من العمر، أدركت أن إليوت كوانتريل قد وصل.

أدركت هذا في اللحظة التي وقعت فيها عيناها عليه، إذ كانت تحيط به هالة من الطاقة والحيوية دخلت المكتب معه.

لكن التحية القلبية التي جهزتها له لم تتجاوز شفتيها، فما إن تقدم نحوها، حتى تسمّر في مكانه. وقبل أن تتمكن من فتح فمها، أنبأها توتر فكه بأنه لم يتأثر ببشرتها العاجية وشعرها الأحمر.

تكلم إليوت كوانتريل أولاً، فقال:

ـ من.. أنت؟

ـ أنا.. كايسي بيترز. سكرتيرتك الجديدة...

لكنه لم يدعها تتم كلامها، بل زمجر قائلاً: «يا للهول!».

ثم خرج غاضباً، وتركها دهشة.

اتسعت عيناها الخضراوان لهذه البداية التي لا تبشر بخير في علاقة كانت تتمنى أن تكون منسجمة، ثم انتبهت فجأة إلى أن قلبها أخذ يخفق في أول لقاء جمعهما.

حدثت نفسها، وقد استحال ذهولها إلى غضب: «يا له من رجل!».

مرّت عشر دقائق... كان غضبها لفظاظته قد هدأ، لكنها ما زالت تجهل سبب موقف إليوت كوانتريل هذا منها.

سمعته يدخل إلى مكتبه من الباب الثاني في الممرّ. وبعد دقيقتين هتف متوتراً: «تعالي إلى هنا».

حملت كايسي قلمها ودفتر الملاحظات، وتوجهت إلى مكتبه من خلال باب مشترك، وشعرت من نبرات صوته أنها سرعان ما تعلم سبب تصرفه هذا.

عندما دخلت المكتب وجدته يطالع ملفاً بين يديه.. أشار إليها بالجلوس بدون أن يرفع عينيه. فجلست كايسي على الكرسي ونظرت إليه، وإذا بها ترى أن الملف الذي كان يقرأه يحمل اسمها.

لم ينطق بكلمة إلى أن انتهى من قراءة كل ما كتب في الملف ابتداءً من أول رسالة أرسلتها تطلب العمل، إلى آخر رسالة يمنحها فيها السيد أوينز الوظيفة.

ثم، بحركة مفاجئة، ألقى بالملف جانباً وهو يسألها: كم عمرك؟

لماذا يسألها هذا ما دامت كل المعلومات عنها مسجلة في الملف بين يديه؟ لكنها سيطرت على غضبها، وأجابت بهدوء: «أربعة وعشرون عاماً».

نظر إليها بعينين رماديتين لا تفصحان عن شيء. وفاجأها بلهجة عدوانية:

ـ قولي الحقيقة.

ـ الحقيقة؟ أتعني بالنسبة إلى عمري؟

لكنه قال باختصار:

ـ لنسلّم فرضاً أنك في الرابعة والعشرين، مع أنك لا تبدين في العشرين من عمرك حتى، فهل تتوقعين أن أصدق أنك قررت ترك العمل في شركة لدهن علب التنك كشركة «منتوجات جينر» بدون سبب وجيه إلا الرغبة في مركز أرفع؟

ثار غضبها وهي تسمعه يصف شركة فُنسنت بكلمات التحقير هذه.

لكن شعوراً ساورها بأن هذا الرجل الفظ لم يضيّع وقته في قراءة العذر الذي قدمته لتركها عملها السابق.

أجابت وهي تكظم غضبها، مصممة على عدم الإفصاح عن السبب الحقيقي لتركها العمل في تلك الشركة:

ـ لقد أوضحت السبب الوحيد لتركي عملي السابق، ذلك أن العمل في شركة «منتوجات جينر» لا يعدني بمستقبل أفضل. وأنا أردت الارتقاء بنفسي إلى..

قاطعها بخشونة: أتريدين أن تخبريني بأنك أمضيت ثلاث سنوات سكرتيرة لڤنسنت جينر قبل أن يخطر لك ذلك؟

وجدته محقاً في هذه الملاحظة. لكنها أجابت قائلة: «أدركت ذلك قبل فترة، في الحقيقة. ولكنني عملت في شركتين قبل أن أحضر إلى لندن لأعمل في شركة «منتوجات جينر»، لذا لم أشأ أن أبدو وكأنني أتنقل من عمل إلى آخر».

رأت أنه لم يقتنع.. لقد اجتازت مقابلتين بنجاح ويبدو أن عليها أن تنجح الآن في مقابلة ثالثة أكثر حزماً وقسوة. جاهدت كايسي تحافظ على هدوئها، لكنها أوشكت على الانفجار عندما قال لها فجأة:

ـ هل قدمت استقالتك لأن ڤنسنت جينر رجل متزوج؟

نظرت إليه غير مصدقة، فلم تعرف رجلاً من قبل بمثل هذه المهارة الخبيثة في الوصول رأساً إلى حقيقة الأمر.

أدركت أن المحافظة على رباطة جأشها تساعدها على عدم فضح مشاعرها.

ـ لا أفهم ما تعنيه سيد كوانتريل.

ضاقت عيناه وتوتر فمه. وإذا به يفاجئها بسؤال لم تتوقعه قط:

ـ كم وظيفة تنقلت بينها قبل أن تجدي واحدة رئيسك المباشر فيها أعزب؟

فتحت فمها ذاهلة، وأدركت حالاً أن السيد أوينز لا شك أخبره بكل شيء، بما في ذلك سؤالها أثناء المواجهة الثانية عما إذا كان السيد كوانتريل متزوجاً.

لم ينتظر السيد كوانتريل جوابها، بل تابع يقول: «فنحن الاثنان نعلم بالضبط ما يدور في ذهنك الصغير الملتوي، ولهذا علينا أن نقوّمه أولاً. أنت هنا للعمل، والعمل أولاً، فليس من عادتي ولا أريد أبداً أن أمزج المتعة بالعمل. هذا يعني أنه إذا رأيت ولو نظرة إغراء واحدة، فسأطردك على الفور. هل فهمت؟»

مضت لحظات لم تستطع كايسي فيها النطق، لقد حيّرها أن ترى إليوت كوانتريل ينتهرها بهذا الشكل، وهي التي تعودت، منذ سن المراهقة، أن يتهافت الشبان عليها.

وعندما استطاعت أن تتكلم، سألته وقد اتسعت عيناها:

ـ هل تظن أنني.. أنني أطمح إليك لأنك أعزب؟

قال ناظراً إلى عينيها المتسعتين: «لقد سبق وحذرتك من أية نظرة إغراء».

ـ نظرة إغراء؟

هتفت مستاءة لأن طبيعتها كانت بعيدة كل البعد عن هذا الإغراء الذي يدعيه.

تابعت تقول: «يا إلهي! يبدو أنك قابلت في حياتك بعض النساء غير الطبيعيات...».

قاطعها بخشونة: «إنني خبير بأمثالك، يا آنسة بيترز».

ـ آه! فهمت.

ـ ماذا فهمت بالضبط؟

ـ لا شيء سوى أنني وقعت حديثاً في بعض المشاكل بسبب سكرتيرة من ذلك النوع.

وسرعان ما أحست بأنها كادت تصل إلى الحقيقة.

قال لها ببرودة: «ليس حديثاً.. كنت عديم الخبرة عندما ظننت أنه لا ضرر في الخروج مع سكرتيرتي عدة مرات، ولكني تعلمت درساً لأنها عوض أن تترك علاقتنا تصل إلى نتيجتها الطبيعية، ذهبت للعمل في شركة تنافسنا في عقودنا ذاتها».

ـ هل معنى هذا أنها... أخبرتهم عنكم...؟

ـ أطلعت منافسينا على كل أسرار عملنا في أول يوم عمل لها هناك، وهذا ما جعل أعمالنا تتراجع طوال العام.

ما يقوله مخيف للغاية. ألا يكفي اتهامه لها بأنها تريد أن ترمي شباكها حوله، حتى يأتي الآن ويضعها في صف واحد مع تلك السكرتيرة الغادرة؟ هل يخشى أن تخونه مع شركة أخرى منافسة؟ كان هذا أكثر مما تستطيع تحمّله.

شعرت بأن هذه الوظيفة لن تدوم أكثر من هذا الصباح على كل حال، فقالت:

ـ إذا كان هذا شعورك نحو السكرتيرات، فلماذا لا توظف رجلاً في أمانة السر؟

ـ هذا صحيح. لم أشأ أن أوظف سكرتيرة، لكنني ظننت أن أوينز يعلم ذلك بدون تأكيد مني على ذلك.

شهقت قائلة حين دخلت المكتب: «كنت تتوقع أن تجد مكاني رجلاً؟»

ـ نعم. لكن المخابرة التليفونية مع سيسيل غلوفر شوشتها عوامل الجوّ. ظننته يتحدث عن سكرتير وليس عن سكرتيرة.

تمتمت تقول، وهي تشعر أن الوظيفة تفلت من يدها شيئاً فشيئاً:

ـ كان السيد غلوفر موجوداً أثناء مواجهتي الثانية.

أجاب وهو يمعن النظر في ملامحها:

ـ هذا يفسّر الكثير.

وبينما أخذت كايسي تتساءل عما إذا كان ينبغي أن تترك مقعدها وتذهب انقاذاً لماء وجهها، قبل أن يخبرها بطردها من العمل، مدّ يده إلى رزمة من الأوراق وأمرها بقوله: «سأملي عليك رسالة».

تساءلت كايسي وهي تنطلق بسيارتها من موقف السيارات تلك الليلة: متى تصورت أنها تحب الأعمال الشاقة؟ كلمة «العبودية» هي أصدق وصف لما كان عليه نهارها هذا. يا له من نهار! ويا له من رجل!

وعندما دخلت إلى غرفتها لتنام آخر الليل، استلقت على سريرها تفكر في يومها الشاق هذا، وفي إليوت كوانتريل. ولأول مرة، لم يكن التفكير في قُنسنت هو آخر ما زحف إلى ذهنها قبل أن يغلبها النوم.

* * *

٢ ـ ارحل عني . .

استيقظت كايسي من نومها العميق شاعرة بالانتعاش. وعندما توجهت نحو مكتبها كانت مستعدة لمواجهة أي شيء.

وما إن حلّ وقت الغداء حتى شعرت بسرور كبير، لأن العمل مع إليوت كوانتريل الخشن الفظ الذي كانت كراهيته لها واضحة، لم يعطها فرصة للتنفس.

لم تعرف الوقت إلا بعد أن أحضر إليها مايك بعض الأوراق مع أمرٍ من الرئيس بأنه يريدها في مكتبه الساعة الثانية. في الأسبوعين الماضيين تمكنت مرات عديدة من التخلص بلباقة من دعوات مايك لها للخروج معه. لهذا لم تُخدع حين نظر إلى ساعته ثم هتف متصنعاً الدهشة:

ـ لم يبق سوى دقيقتين لموعد الغداء؟

فيما كانت تهمّ برفض دعوته إلى الغداء، رأت كايسي ما لم يستطع مايك رؤيته، رأت إليوت كوانتريل وقفا عند العتبة. بدا الاستياء على ملامحه هو يرى المحاسب الشاب يثرثر مع سكرتيرته، ولكن لم تسنح الفرصة لكايسي لكي تحذر مايك، الذي كان يقول وكأن الفكرة خطرت في باله للتوّ: «ما رأيك لو نتناول الغداء معاً؟»

وقبل أن تجيب ارتفع صوت حاد يقول: «غرضك من القدوم الآن واضح جداً يا مايك».

بينما كان مايك يستدير مصعوقاً، تقدم إليوت كوانتريل قائلاً لكايسي بخشونة:

ـ هل هذا جدول الأرقام؟

ثم أخذه من يدها، وعاد إلى مكتبه.

تمتمت كايسي تقول له لتضمد كرامته المجروحة: «ربما في وقت آخر، يا مايك، فأننا ذاهبة للتسوق وقت الغداء».

استعادت طاقتها بشطيرة وفنجان قهوة. وعندما عادت إلى المكتب كانت تتساءل عما إذا كان رئيسها بهذا الحزم حتى أثناء ساعات الغداء. لأنها ما كادت تضع حقيبة يدها جانباً، حتى سمعت صوته يجلجل آمراً:

ـ أريدك هنا.

خرج إليوت كوانتريل الساعة الرابعة في جولة على بعض الشؤون، ففردت كايسي عضلاتها المتعبة.

في الرابعة وخمس دقائق رن جرس التلفون الذي لم يكد رنينه يتوقف معظم ساعات النهار لكنه هذه المرة لم يكن متعلقاً بالعمل. كان من أنغس ماكدونالد وهو عضو في نادي التنس معها. كان أنغس يحاول، دون نجاح، الاتصال بعضو آخر هو بايس إلويل. وهو يريد منها أن تبلغ العضو الآخر رسالة تقول إنه سيتأخر عن القدوم إلى النادي لأن سيارته معطلة، لكنه سيكون تلك الليلة موجوداً حتماً في النادي.

سألها بعد شيء من التفكير: هل أنت ذاهبة هذه الليلة؟

رغم أن كايسي تفضل الخلود للنوم باكراً تلك الليلة، لكنها فكرت في أن سيمون سيقلق إذا لم تذهب الليلة للتدريب. وهكذا قالت: «سأكون هناك».

عند ذلك أخذ أنغس يقول كم هو حسن الحظ لأنه تذكر مكان عملها الجديد، وكانت كايسي على وشك إنهاء المخابرة، عندما عاد

إليوت كوانتريل.

قالت: «سأراك فيما بعد، يا أنغس».

رفعت بصرها فتلقت نظرة باردة من رئيسها الذي مرّ بها داخلاً إلى مكتبه.

في نهاية ذلك الأسبوع الذي عاد فيه رئيس الشركة إلى عمله المعتاد، شعرت كايسي بأنها تحمّلت منه ما فيه الكفاية. وبأنه كلما أسرع في الرحيل إلى جزء آخر من إمبراطوريته، كلما كان ذلك أفضل.

تنهدت وهي تتذكر تبعاً لمفكرة مكتبه أنه، عدا عودته إلى انكلترا التي ستكون بعد شهرين، ليس أمامه رحلات أخرى.

فكرت، أكثر من مرة، في تقديم استقالتها، خاصة يوم الأربعاء الذي كان فيه أكثر توتراً من العادة في إصدار الأوامر. لقد حثها بذلك على الخروج عن طبعها الهادىء المسالم حتى أوشكت أن تخبره برأيها فيه وفي وظيفته. لكنها لم تفعل، لأنها تعلم أنه ينتظر أقل عذر لكي يطردها. لكن الأسبوع بأجمعه مرّ، وما زالت هناك.

فكرت لماذا لم يطلب منها الذهاب وعدم العودة على الإطلاق؟ أتراه يملك نزعة إلى الإنصاف فهو يراها مستعدة لكل ما يطلبه منها، وهذا ما يرغمه على قبول واقع أنها أنثى؟ لكنها سرعان ما رأت أن ميله للإنصاف لا علاقة له بذلك، وأن كل ما يحركه هو مصلحته الخاصة، لأنه إذا طردها فسيجد نفسه دون مستخدمة تلبي أوامره في كل لحظة، وقد تمرّ أسابيع قبل أن يجد أمين سرّ يناسبه.

شعرت كايسي بدافع إلى قضاء عطلتها الأسبوعية مع الشخصين الوحيدين اللذين يحبانها، وهما أمها وزوجها ويليام، لكنها تذكرت سيمون ومباراته الوشيكة فعدلت عن ذلك.

لم تنس وعدها بأن تذهب مرات عديدة للتدريب في النادي أثناء العطلة، وهذا ما جعلها تتمنى لو أنها لم تلتحق بالنادي ولم توافق على

أن تكون شريكة سيمون.

وهكذا اكتفت بالاتصال بأمها تليفونياً. وما إن انتهت التحيات، حتى قالت أمها: «المفروض أن إليوت كوانتريل عاد من سفره الاثنين الماضي. أليس كذلك؟»

كان زهوها واضحاً لأن ابنتها تشغل وظيفة ممتازة: سكرتيرة شخصية لرئيس الشركة.

سألتها: «كيف حالك معه؟»

ترددت كايسي وهي ترى زهو أمها بهذا الإنجاز مع أنها كانت ترغب في أن تخبر أمها أيّ خنزير هو.

ـ لم أمضِ معه وقتاً كافياً لكي أعرفه. إنه بالغ النشاط والحركة، لا يهدأ أبداً، مما يجعل من الصعب الجلوس معه والتحدث في الأمور الشخصية.

قالت الأم: «لا بد أن عليه حضور اجتماعات كثيرة بعد غيابه الطويل، لكنني واثقة من أنك قمت بكل شيء لتساعديه».

تمتمت كايسي تقول: «كان أسبوعاً حافلاً»، وما لبثت أن جعلت أمها تغير الموضوع.

بعد انتهاء المحادثة مع أمها، أمضت كايسي خمس دقائق في تفكير عميق. تذكرت التهاني التي تلقتها في النادي حين علموا بوظيفتها الجديدة، كما تذكرت حزن ڤنسنت لاستقالتها، ثم ما بدا عليه من رضا حين علم بعثورها على وظيفة فضلى، ومبلغ الزهو الذي تملك أمها وزوج أمها حين أخبرتهما بفوزها بالوظيفة، حتى خادمة أمها بدت مسرورة لهذا الخبر. وهذا يعني أن القرية بأجمعها أصبحت تعرف أي ابنة ماهرة لدى السيدة هاردنغ، أمها.

استناداً إلى هذه الأمور كلها، رأت كايسي أنه لم يعد بإمكانها الاستقالة على الإطلاق. كيف تفعل ذلك فتخذل الجميع؟ عليها احترام

مشاعر أمها التي ضحت بالكثير لأجلها. عليها أن تبرهن عن عرفان الجميل فتسمح لأمها ببعض مشاعر الزهو والفخر.

تجهم وجه كايسي وهي تتذكر تصرفات إليوت كوانتريل معها طوال الأسبوع الماضي. ولكنها أدركت فجأة بشيء من الدهشة أنه رغم معاملته الفظة لم تشعر معه قط بالملل. كان عملها مع كوانتريل محفزاً أكثر بكثير من عملها مع ڤنسنت.

وما لبثت كايسي أن فكرت أن الوقت حان للذهاب إلى ناديها.

لكن ذهابها إلى النادي لم يجعلها تنسى كوانتريل. وعندما ذهبت إلى سريرها ليلة الأحد، كانت قد توصّلت إلى رأي هو أن عليها أن تصبر عليه وعلى تصرفاته غير المهذبة، فلم يكن معقولاً أن تخبر أحداً، خاصة أمها، أن وظيفتها مع إليوت كوانتريل لم تدم شهراً واحداً. مهما حدث الأسبوع القادم، فلن تخبر به أحداً بل ستتحمّل فترة حفظاً لكرامتها. هذا إذا تركها إليوت كوانتريل في العمل.

كانت تلك الكرامة هي التي دفعت كايسي إلى مكتبها صباح الاثنين. وعندما رأت إليوت كوانتريل، حيته بشاشة: «صباح الخير».

يا له من خنزير! قالت عنه هذا وهي تراه يرمقها بنظرة عاجلة ثم يبتعد عنها وكأنها مرض معدٍ، ثم يدخل مكتبه ويغلق الباب خلفه.

كبحت كايسي رغبة تدفعها إلى الخروج من المكتب نهائياً، ولكنها جاهدت لتذكر ما استقرّ عليه عزمها وهو البقاء في وظيفتها مدة أطول من شهر واحد. وهكذا جلست إلى مكتبها طوال ذلك النهار.

في الساعة العاشرة استُدعيت كايسي إلى مكتب رئيسها ليملي عليها بعض الرسائل.. كانت أصابعها تجول فوق الآلة الكاتبة، عندما دخل رجل ملوّح البشرة أشقر الشعر إلى المكتب، ثم قال مخاطباً رئيسها:

ـ قلت لنفسي إنّ من الأفضل أن آتي لأراك.

أوقف كوانتريل إملاءه ثم نهض يصافحه.

اغتنمت كايسي هذه الفرصة لتريح يدها اليمنى وإذا بالرجل يستدير لينظر إليها. فجأة رأت ابتسامته تتسع وهو يهتف بسرور:

ـ حسناً.. أليس وجودك تحسيناً لمكتب إليوت؟

بعد نظرة سريعة إلى رئيسها رأت أنه متوتر الشفتين كالعادة، وعندما لم يحاول إليوت أن يعرّفه إليها، لم ير الرجل بأساً في أن يحاول ذلك بنفسه، فقال باسماً غير مهتم بمقاطعة عمل إليوت:

ـ يبدو أن إليوت لن يعرّفني إليك. أنا جوناثان ديڤي.. مدير فوق العادة في الشركة. كنت سأعود من إجازتي قبل الآن بكثير لو كنت أعلم أن رئيسنا ينوي كسر تقليد نعرف جميعاً أنه لا ينكسر. وهو أن يوظف عنده سكرتيرة وليس سكرتيراً.

لم تستطع أن تمنع نفسها من الابتسام، فمن الواضح أن جوناثان ديڤي يحب الإطراء. لكن ما دام يقوم به بشكل مكشوف، فلا ضرر منه.

تمتمت تقول بدورها:

ـ اسمي كايسي بيترز.

كان واضحاً أن كثيراً من الوقت ضاع، إذ قاطعهما إليوت كوانتريل بصوت حاد، غير أنه لم يكن أكثر تهذيباً من العادة، حتى بالنسبة إلى واحد من مديريه:

ـ عندما تنتهيان من المصافحة يمكن للآنسة بيترز أن تعود إلى الطباعة.

قال جوناثان بابتسامة عريضة:

ـ أما زلت (سائق عبيد)؟ أراك فيما بعد، يا إليوت، وأنت أيضاً، يا كايسي. سأراك كثيراً كما أرجو.

ثم غادر المكتب.

عندما لم يتابع إليوت إملاءه عليها رفعت إليه بصرها.

رأت أن عينيه لم تكونا على الورق بين يديه بل عليها، فظنت أنه ينتظر منها أن تكرر آخر جملة توقفا عندها، وقبل أن تجد فرصة تعود بها إلى دفتر الإملاء، اندفع يقول بحدة: «أتظنين أن رسالتك في الحياة هي أن تقولي: (هيا بنا) لكل رجل تتعرفين إليه؟»

وبجهد بالغ، كبحت رغبة أوشكت أن تدفعها إلى إلقاء دفتر ملاحظاتها عليه، ثم تخرج بلا عودة. لكنها، بعد لحظات، سيطرت على مشاعرها وأجابت بأدب: «أحياناً، أتعرّف لسوء حظي إلى رجل أود لو أقول له (ارحل عني) عوض أن أقول له (هيا بنا)».

خيّل إليها أنها ترى حركة في زاوية فمه تشير إلى أنه وجد جوابها مسلياً.

لكنه ما لبث أن قال بحدة:

ـ إنني لا أدفع لك أجرك لكي تعبثي مع الرجال أثناء وقت العمل.

ثم عاد يملي عليها الرسائل من حيث توقفا.

في الأسبوع التالي شعرت كايسي بأنها تعودت على أسلوب إليوت في العمل. إنما لم يكن ثمة تهاون في سلوكه الحاسم معها، فجوناثان ديفي زارها في مكتبها مرات كثيرة. لكنها لم تعرف ماذا جرى حين وقف إليوت، بوجهه الصارم، عند عتبة الباب، ينظر إلى واحد من مديريه يتسكع عند مكتبها، فقد قال له إليوت:

ـ إذا كان لديك لحظة فراغ، يا جوناثان...

تبعه الرجل الأشقر الشعر إلى المكتب ومن ثم أغلق الباب. وبعد ذلك لم يحضر إلى مكتبها إلا عند الضرورة القصوى.

ظل مايك كيري يحاول دعوتها للخروج معه، لكنها تدبرت أمرها، وكان سيسيل غلوڤر يحاول هو أيضاً.. نادراً ما كان يأتي إلى مكتبها، ولكنها ما تركت مكتبها مرة إلا ورأته يتسكع حوله. وكم كرهت منه أن يضع يده عى ذراعها أو كتفها بطريقة أبوية فنظراته كانت

تفضح نواياه السيئة، ونظراً لسنه، لم تشأ أن تنهره، إنما تجنبت أن تراه.

كان العمل أشبه بسيل جارف، ولم تفكر إلا مساء الجمعة، وهي تعود إلى بيتها، في أن عملها، رغم مشقته، أصبح أسهل.

حدثت نفسها بأن سبب ذلك هو تعوّدها على طريقة كوانتريل في العمل. رغم أنه لم يتفوّه بكلمة مديح واحدة.

لكن ما زال لديها الطاقة للذهاب إلى نادي البينغ بونغ. تلك الليلة ذهبت إلى فراشها، شاعرة بالبهجة، فبعد أسبوعين فقط، لن تفشل في إنجاز أي شيء يكلفها به إليوت.

ـ صباح الخير.

نطقت بالتحية ببشاشة بالغة وهي تجلس إلى مكتبها صباح الاثنين وابتسمت وهي تفكر في أن الأمور تتحسن، فصحيح أن إليوت كوانتريل لم يرد تحيتها، لكنه أومأ برأسه بخفة وهو يدخل إلى مكتبه ويغلق الباب خلفه.

عندما رن جرس التليفون كانت تجلس في مكتبه، وقلمها في يدها على الورق، مرهفة السمع لتسجيل إرشاداته. أرادت أن تذهب إلى مكتبها لترد عليه، لكنه أومأ إليها بأن تتحدث من مكتبه.

تناولت السماعة: «مكتب السيد كوانتريل». لكن المخابرة لم تكن بشأن العمل. فسرورها لسماع صوت ڤنسنت، رئيسها السابق، أنساها أن ترد عليه بشكل رسمي، فقد ردّت عليه باسمة هاتفة: «ڤنسنت؟ كيف حالك؟» ثم انتبهت إلى عيني رئيسها على وجهها وفمها.

ـ ليس على ما يرام، رأيت أنّ الوقت حان للاتصال بك وسؤالك عن عملك الجديد.

تمنت لو أنها ذهبت إلى مكتبها للتحدث معه:

ـ ممتاز، ممتاز تماماً.

سألها: «هل أنت منسجمة مع رئيسك الجديد؟»

أجابت كاذبة: «تماماً».

أرادت أن تنهي المخابرة، لكنها لم تشأ ذلك خشية أن تجرح مشاعر ڤنسنت. فقررت تغيير الموضوع وسألته:

ـ كيف حال سكرتيرتك الجديدة؟

أجاب متجهماً: «ما زال أمامها الكثير لتتعلم».

ثم تابع بخشونة: «لقد تركتني جولي».

قالت بعطف: «آه! يا ڤنسنت، أنا آسفة» وكانت ستضيف قائلة: «أنا واثقة من أنها ستعود إليك» لولا أنها رأت إليوت ينظر إليها عابساً.

تابع ڤنسنت يقول:

ـ أنا بحاجة للتحدث إلى شخص ما، يا كايسي. لا أظنك تقبلين الذهاب معي هذه الليلة لتناول فنجان قهوة. أليس كذلك؟

كادت تضعف، ونسيت ما كلفها نبذها له من إنهاك وألم، إنما لو استسلمت لبدأ كل ما مضى بينهما من جديد. لكن إشارة الضيق التي بدت على رئيسها من طول الحديث، جعلها تقول لڤنسنت كذبة أخرى:

ـ الحقيقة أن لدي موعداً هذه الليلة، ويجب أن أقفل الخط لأن هناك من يطلبني.

حاولت كايسي استعادة مظهرها الجاد حالما وضعت السماعة من يدها. غير أن ڤنسنت شخص عزيز عليها، وهو يعاني مشكلة، لذا تملكها شعور فظيع بأنها خذلته في وقت حاجة.

ألقت نظرة على كوانتريل لتعلمه أنها مستعدة للعودة إلى العمل، لكن وجهه كان متجهماً للغاية، فجمدت في مكانها وهي تراه. وبدل أن يسرع للتعويض عن الوقت الضائع، سارع يقول: «إذن، فالرجال المتزوجون على قائمتك هم أيضاً».

منعتها المفاجأة من النطق، لكنها ما لبثت أن تذكرت إنذاره بالطرد إذا ما تجرأت على محاولة إغرائه.

تمالكت نفسها بسرعة، ثم قالت له ببراءة:

ـ لا يمكنني منع نفسي من ذلك ما دام الرجال المتزوجون أكثر استجابة لي من العازبين.

لكن قولها هذا لم يترك في وجهه أثراً من تسلية هذه المرة، وإنما قال:

ـ لماذا، بالضبط، تركت العمل عند ڤنسنت جينر؟

بما أنه لم يصدّق العذر الذي ذكرته في المقابلة، رأت أنها ستضيّع وقتها إذا كررت نفس القصة، ولكن بما أن كرامتها ألزمتها بذكر القصة نفسها، جاءت بجواب مراوغ:

ـ أي شيء إلا السبب الذي ذكرته لك، فهو سرّ.

عندما بدا عليه الغيظ البالغ قالت تذكّره:

ـ هل يعجبك، إذا تركت العمل عندك، أن أثرثر بأي من أسرار العمل؟

ـ لا أريد أن أسمع كلمة (إذا).

أقفل الموضوع وأخذ يملي عليها ما يشبه السيل المنهمر فلم يترك لها وقتاً للتفكير، حتى عادت إلى مكتبها... فأخذت تفكر في ما كان يعني بجوابه الأخير أنه لا يريد سماع كلمة (إذا)! أيشير بذلك إلى ترك عملها أم إلى الثرثرة بأسرار العمل؟ وأخيراً أدركت أن الكلمة تعني الأمرين.

جعلتها كرامتها المجروحة تشعر بالرغبة في ترك العمل قبل أن يطردها هو، لكنها ما لبثت أن تذكرت تعهدها لنفسها بأن تتشبث بهذه الوظيفة أطول وقت ممكن.

حافظت كايسي على قرارها هذا، لكنها لم تستطع منع نفسها من التفكير في أنّه يبدو وكأنه يخطط لطردها في اللحظة التي تناسبه.

وهكذا لم تشعر بالرضى أو الهدوء عندما سمح لها، بصورة استثنائية، بأن تتلقى مخابرات هاتفية شخصية أثناء العمل.

ما زالت مباراة التنس في النادي بعيدة أسبوعاً كاملاً، ولكن سيمون بدأ يشعر بالذعر لذا اتصل بها يطلب منها أن تأتي إلى النادي تلك الليلة للتدريب.

ـ أعدك يا سيمون بأنه حتى الوحوش البرية لن تستطيع منعي من القدوم إليك الليلة.

ما كادت تضع السماعة حتى صرخ كوانتريل بها من مكتبه: «أليس لديك تليفون في بيتك؟»

رأت كايسي أنها احتملت طويلاً طباعه السيئة، فثار غضبها..

قالت بحدة: «سأهتم بأن أوزع رقم تليفوني على أصدقائي، المتزوج منهم والأعزب».

وشعرت بالرضا وهي ترى الاشمئزاز على وجهه قبل أن يصفق الباب الموصل بينهما.

فكرت فيما بعد، فيما إذا طلبت منه بطريق غير مباشر أن يطردها، لكن نهاية الأسبوع حلّت دون أن تحمل إليها كلمات الطرد التي توقعتها، وهذا يعني أنها ستحتفظ بوظيفتها فترة صغيرة أخرى.

مرّت بها العطلة الأسبوعية شبيهة بسابقتها.. نوت أن تخبر سيمون بأن يتصل بها في البيت في المستقبل، لكنه كان منهمكاً بالتنقل من مكان إلى آخر، فأرجأت ذلك.

كان هناك احتمال كبير أن ينتهي عملها مع كوانتريل بعد مدة قصيرة، على كل حال.

لكن هذا الافتراض ثبت أنه خطأ، لأنها ما كادت تستقر في مكتب إليوت صباح الإثنين حتى رن جرس التليفون، وكان كوانتريل هو من رفع السماعة وما لبث أن ناولها إياها.

إذا كان هذا تُنسنت، فليس لديها وقت للتعاطف معه، ولكنه كان أنغس الذي أخبرها بأن سيارته في الكاراج، ولهذا لن يتمكن من إحضار بعض أعضاء الفريق إلى النادي يوم الجمعة.

أجابت بسرعة: «ليس هناك مشكلة. يمكننا استعمال سيارتي».

ـ كنت أرجو أن تقولي هذا، فسيارتي لا تستوعب أكثر من أربعة أشخاص، ونحن خمسة... هل أنت واثقة..

قالت بسرعة تطمئنه: «طبعاً».

كان في النظرة التي رأتها في عيني مخدومها ما أخبرها بأنه لم يعد يحتمل هذه المقاطعات بسبب ترتيبات حياتها الخاصة.

لكن سيمون عاد يقول قبل أن تتخلص منه:

ـ هل ستكونين في النادي غداً؟

«أراك في السابعة والنصف.. وداعاً يا سيمون». قالت ذلك بحزم ثم وضعت السماعة.

عادت كايسي تمسك بدفتر الاختزال، وعندما أحست برئيسها يحدّق إليها، رفعت إليه نظرها، وإذا بقلبها يخفق.. أدركت فجأة أن الأمر قد حان، وأن هذه المخابرة الأخيرة من سيمون كان فيها فصل الخطاب كما يقال، وعلمت بأنها الآن ستتسلم أمر الصرف من العمل في أية لحظة.

ألقى إليوت بالقلم من يده، ثم قال بلهجة راضية ساخرة تقرب من الشماتة:

ـ ستصفحين عني لتنصتي عليك. أنا واثق من ذلك بقدر ثقتي بأنك لن تصفحي عني إذا قلت إن عليك أن تلغي موعدك هذه الليلة.

إذا كان يفكر في الاستغناء عنها، فهذه طريقة مضحكة لذلك.

ـ ألغي موعدي...

أجاب بابتسامة: «سبق أن رأيت كثرة أعمالنا. آسف يا آنسة بيترز

لأن عليك أن تعملي وقتاً إضافياً هذه الليلة».

ما الذي جعلها تشعر بالراحة لأنه لم يطردها من العمل؟ لم تعرف كايسي السبب.

ـ لا حاجة بي لإلغاء الموعد، فموعدي هو مساء الغد.

استند إلى كرسيه، وقد بدا أنه ليس مستعجلاً في العودة إلى العمل.

ـ كثرة الاتصالات التليفونية بك تدعو إلى الاعتقاد بأنك لا تستريحين في الليل.

رغم بداية الأسبوع السيئة، أخذت كايسي، يوم الجمعة، تتأمل في كل ما أنجزته حتى الآن. أصبح عملها أكثر سهولة.

حوالي الثالثة من عصر ذلك اليوم، فكرت في أن عليها أن تذهب إلى بيتها لتتناول طعاماً سريعاً، ثم تذهب بسيارتها إلى النادي لكي تحضر الركاب.

وكأنما التفكير في سيمون جعله يشعر بذلك، فاتصل بها. نسيت أن الباب مفتوح بين المكتبين، وأن رئيسها لا تفوته كلمة تنطق بها..

ضحكت بصوت عال، قائلة لسيمون: «يا لها من صدفة! كنت أفكر فيك!».

تمتم سيمون يقول:

ـ نعم، حسناً.. لقد استعاد أنغس سيارته من الكاراج. لهذا اتصلت بك لأخبرك بأننا لن نحتاج إلى سيارتك.

ـ آه! هذا حسن. أراك فيما بعد إذن.

كانت على وشك أن تودعه، حين سمع سيمون من أحد منظمي الحفلات أنهم يقومون بتنظيم حفلة تقام فيما بعد، مقترحاً اللقاء ليلة أخرى.

فقال: «لقد اتصلت بالجميع، وهم متشوقون إليها، ولكن إذا كان

في ذلك أية صعوبة».

قالت: «هذا يعني غيابي ليلتين. هذا يناسبني، يا سيمون. يمكننا العودة إلى لندن على مهل إذا عدنا يوم الأحد».

ـ هذا عظيم.

قال ذلك ووضع السماعة، أما هي فدفنت رأسها في عملها.

في الساعة الخامسة، وضعت الغطاء على الآلة الكاتبة وهي تفكر في أن عليها أن تسرع إلى بيتها لتستعد للعطلة الأسبوعية. لم تكن بحاجة إلى قدوم كوانترين من مكتبه وتأخيرها. فمهما كان لديه يمكن أن ينتظر إلى يوم الاثنين. وهكذا قالت له:

ـ تصبح على خير، يا سيد كوانترين، سأراك...

وكانت قد وصلت إلى الباب، فقاطعها قائلاً: «غداً».

ـ غداً؟ ولكن غداً هو السبت؟

وللمرة الثانية منذ عرفته، يتفضّل عليها بابتسامة.

ـ هذا صحيح.

قالت ببطء: «لكنني لا أعمل يوم السبت».

ـ لو كنت أريد سكرتيرة عادية تعمل يومياً من التاسعة إلى الخامسة، لطلبت ذلك من مكتب شؤون الموظفين. إنك تعلمين، منذ يوم الأربعاء، أنني أنوي إلقاء نظرة على ذلك الاختراع الهندسي في «بيزلي»، فهل تظنين أنني سأقوم بتلك الرحلة الطويلة وحدي دون أن يكون معي شخص مؤهل كفؤ يدوّن الملاحظات؟

قالت غاضبة رغم وصفه لها بالكفاءة:

ـ لكنك لم تقل شيئاً عن موعد الرحلة. لو عرفت ذلك مسبقاً لغيرت خططي للعطلة كي أرافقك، ولكن أن تخبرني بذلك وأنا خارجة... لقد رتبت أموري لهذه العطلة...

ـ عليك أن تلغيها.

احتجت رغم علمها بأن ذلك قد يؤدي إلى طردها.

ـ لكنني لا أستطيع ذلك.

بدت الخشونة على وجهه، فقال متجاهلاً عنادها: «لا تدفعي... الأمور».

ـ أنا لا أفعل ذلك... كل ما في الأمر...

أسكتتها النظرة الفولاذية من عينيه، وأدركت عند ذلك أن جدالها لا يهمه.

استجمعت كل شجاعتها، واستعدت للجواب، شاعرة بأنها لم تعد تريد وظيفته الهمجية هذه بعد الآن، لكن إليوت شتت شجاعتها عندما قال:

ـ اسمعي.. بما أنك قمت بعملك طوال الأسابيع الماضية بدون مزجه بالإغراء النسائي، فقد بدأت اعتبرك كالرجل، ولكن إذا لم تتمكني من إلغاء ما كنت صممت عليه، كما يفعل أي سكرتير يستحق أجره، عند ذلك أكون قد فشلت في العثور على سكرتيرة مناسبة.

ابتلعت كايسي ريقها، وأخذت تتأرجح بين أن تذهب إلى سكوتلندا غداً، وبين أن تصبح بدون عمل... كما أنها إذا ذهبت معه غداً، يمكنها أن تعود بدون أي جديد على صعيد الوظيفة.

سألته ببطء: «هل تقول إنني إذا لم أرافقك إلى سكوتلندا غداً.. فلا فائدة من عودتي إلى عملي يوم الاثنين؟»

أجاب بهدوء، وهو يسمّرها بنظراته الصارمة:

ـ يبدو أن ذكاءك لم يفارقك.

ـ هل لي أن أعرف إذن، ما إذا كنت تنوي طردي من العمل في أول لحظة مناسبة... بعد عودتنا؟

لم تكن وافقت بعد على مرافقته، ولكن من حركة صغيرة من جانبي فمه، شعرت بأنه يعتبر نفسه منتصراً.

لكن مشروع الابتسامة ذاك، تبدّد.

قال لها برقة: «حتى الآن أثبت مهارتك بالعمل، ويجب أن تعرفي يا آنسة بيترز أنني رجل منصف».

علمت كايسي الآن أنها جعلته يذهب بعيداً بأفكاره عندما سألته إن كان عملها سيدوم.

وهكذا وجدت نفسها تسأله:

ـ أين أراك غداً؟

أجابها بهدوء: «سآتي لآخذك في الساعة الثامنة والنصف».

ـ إنني أسكن في...

ـ أعلم أين تسكنين.

سارت كايسي، وعندما أصبحت في منتصف الممر، ناداها قائلاً:

ـ أحضري معك حقيبة ملابس لليلة واحدة.

فتابعت سيرها بدون أن تلتفت أو تنطق بحرف.

* * *

٣ ـ جنت على نفسها!

بزغ نهار يوم السبت بارداً كئيباً. نزلت كايسي من سريرها بمزاج مماثل. فلم يخطر ببالها قط حين قيل لها إنّ كوانتريل لا يستقر في مكان، أنها هي أيضاً ستكون كذلك.

ما زالت تشعر بالذنب الذي شعرت به وهي ترى أمامها خيارين: إما ألا يتحدث سيمون إليها مرة أخرى، وإمّا أن تبدأ بالبحث عن وظيفة أخرى... حين رفعت سماعة التليفون لكي تلغي الترتيبات التي تعهدت بها لشريكها في اللعب سيمون، قال سيمون غير مصدق:

ـ لا يمكن أن تكوني جادة.

ما زال يرن في أذنيها صوته وهو يقول: «إنكِ لم تأتي على ذكر ذلك عندما تحدثا قبل ساعات».

أجابته تقول: «لم أكن أعلم حينذاك».

لم تستطع أن تتذكر أن كوانتريل سبق أن قال لها يوم الأربعاء إنه ينوي السفر إلى سكوتلندا ليرى اختراعاً هندسياً يوم السبت.

تابعت تعدّل من كلامها:

ـ كنت أعلم أنه سيسافر السبت، ولكن لم يخطر في بالي أنه سيأخذني معه.

وبما أن سيمون لا يهمه ما يدور في مكتبها سوى ما يتعلق بتأثيره على المباراة، قال: «تباً لهذا التصرف».

ثم ألقى بالسماعة غاضباً.

وحينما رأت أن من غير المحتمل الذهاب إلى «بيزلي» والعودة منها في نفس اليوم، أعدت حقيبة صغيرة تحتوي ملابس لقضاء ليلة في الفندق. كان التفكير في قضاء ساعات طويلة مع إليوت بمفردهما، يزعجها جداً.

الساعة الثامنة والثلث ارتدت كايسي ملابسها قبل حضور كوانتريل، ثم جلست تفكر وهي تشعر بالتمرد... فلا بد أن إليوت سمع حديثها مع سيمون في التليفون وهما يخططان لعطلة الأسبوع، ولكن لماذا لم يذكر لها أنها ستبيت ليلة خارج البيت؟

انتظار إليوت كوانتريل إلى الساعة الخامسة لكي يطلب منها أن تلغي مشروعها للعطلة الأسبوعية، جعل غضبها بالغاً. وما إن قرع جرس الباب حتى همدت ثورتها، فقد كان رئيسها. وهكذا حملت حقيبتها ثم ذهبت إليه.

كانت سيارته حديثة الطراز، سريعة، فارهة. وسرعان ما انطلقت بهما.

عندما وصلا إلى الطريق العام، كانت تفكر في هذه الصحبة الكئيبة التي ستمضي بقية النهار معها. كانت منتبهة إلى تركيزه على الطريق، ولكن ما إن أخذت السيارة تلتهم المسافات دون جهد، حتى صممت على ألا تتكلم قبل أن يتكلم هو.

تركته كايسي يركّز اهتمامه على الطريق أمامه. وفي هذه الأثناء لم يدر بينهما سوى الضروري من الحديث، وظلاّ على هذه الحال حتى توقفا أمام مقهى وهناك قال لها إنهما سيستريحان عشر دقائق يتناولان أثناءها فنجان قهوة.

بدا وكأن العالم كله كان مسافراً ذلك النهار. كان عدداً كبيراً في الناس ينتظرون لإحضار فنجان قهوة.

قال لها باختصار: «ابحثي عن مقعدين». ثم تركها تبحث عن المستحيل لينضم هو إلى الصف.

تصورت استياءه لو اضطر إلى تناول القهوة واقفاً، فأخذت تبحث عن مقعدين. لاحظت إليوت يحمل فنجانين، ويدنو منها ليرشفا القهوة واقفين. لكن فجأة ربت أحدهم على ذراعها، وإذا بصوت شاب يقول:

ـ يمكنك أن تأخذي مقعدي، يا عزيزتي.. إننا خارجون.

شكرته بحرارة، فسحب الشاب رفيقه ليسمحا لها بالجلوس. وما إن استقرت على الكرسي حتى وجدت الشاب يتلكأ بجانبها يريد التحدث إليها.

سألها: «هل طريقك بعيد؟».

ولكن عندما وصل إليوت وأخذ يحملق فيه وفي رفيقه، لم ينتظر جوابها، وتوارى مع رفيقه وهو يقول لها:

ـ أرجو أن تصلي بالسلامة.

ارتشفت كايسي قهوتها بصمت تفكر في أنّها قامت بهذه الرحلة بشكل مفاجئ بدون أن تسنح لها الفرصة لكي تراجع دفتر ملاحظاتها. ولكن فكرة رفع صوتها وسط كل هذا الضجيج السائد حولها لتطرح عليه بعض الأسئلة، جعلتها تمتنع عن ذلك. لقد كان الأمر سرياً تماماً، ووجود إليوت كوانتريل الأشبه بدب يشعر المرء بصداع كافٍ. وما من داع لإثارة المزيد من عدوانيته.

ارتشف آخر رشفة في قهوته فتوقعت أن ينهض للخروج.. كانت على وشك تناول حقيبة يدها عندما سألها: «جاهزة؟»

جعلها سؤاله تشعر أن عليها أن تكون شاكرة لأنه سألها، فما كانت لتدهش لو أنه خرج صامتاً وتركها تلحق به.

أظهر لها المزيد من الكياسة عندما خلع معطفه في السيارة، ونصحها بأن تخلع هي أيضاً معطفها الطويل، فشكرته... وتوجها

شمالاً حيث كان الجوّ أكثر برودة وشعرت بالسرور لاستمتاعها بالدفء المنبعث من جهاز التدفئة داخل السيارة.

كان إليوت يرتدي بنطلوناً وكنزة عاديين بدلاً من بذلة العمل الأنيقة. وعندما نزلا إلى الشارع مرة أخرى للاستراحة عشرين دقيقة أخرى، وجدت نفسها تتأمل عرض كتفيه دون سترة، لكنها سرعان ما حولت ذهنها عن هذه الأمور الخاصة.

قطعت الصمت بقولها أول شيء عام تبادر إلى ذهنها: «السيد أتكنز هذا الذي نقصده...».

فقاطعها مصححاً: «إيتكين، اسمه دوغال إيتكين».

ـ لم أجد الوقت لقراءة ملفه.

قالت ذلك وتمنت لو أن ذاكرتها قوية كذاكرته. مع كل ما يحدث يومياً في المكتب، ما زالت لا تدري كيف يتوقع منها أن تتذكر اسم كل رجل يتعاملون معه، وهكذا أخذت تركز أفكارها على حديثه. وتابعت قائلة:

ـ السيد إيتكين لا ينتمي إلى أية شركة إذن؟ كنت أظنكم تتعاملون فقط مع الشركات؟

ـ نعم، بوجه عام. لكن رغم إنني لم أشتر بعد أي اختراع من دوغال، إلا أن بعض أفكاره الغريبة قد تبلورت في اختراعات سرعان ما تصبح لها قيمة تجارية.

سألته: «أتراك تهتم به شخصياً؟».

قالت كايسي ذلك، وهي تفكر في السبب الذي يجعل رئيس مؤسسة كبرى، يتخلى عن عطلته الأسبوعية للقيام بعمل يمكنه أن يكلف به، بكل سهولة، واحداً من مديريه الكثيرين.

أجابها إليوت بعد لحظة:

ـ أنت، يا آنسة بيترز، ذكية بقدر ما أنت كفؤة. أصبح دوغال

إيتكين صديقاً لي منذ كان أستاذي في الجامعة.

وقبل أن تأخذ في تأمل ما إذا كان يمدحها أم يذمها بقوله (إنها ذكية بقدر ما هي كفؤة)، تابع يقول:

- إنه يذكر فضولي بشأن كل ما يفعله، لذلك يطلعني على كل جديد. ويعرف دوغال أنني رجل أعمال، أي أنني لن أهتم بما يعرضه عليّ إلا إذا كان في ذلك فائدة مالية له ولشركتي.

هذا القول جعل كايسي تدرك أن إليوت كوانتريل، رغم ما يبديه من خشونة وصلابة، يشعر ببعض العطف على أستاذه السابق. وإلا لماذا يقوم بهذه الرحلة بينما يمكنه إرسال أي شخص آخر مكانه؟ إنها لم تنس ما قاله في أول لقاء لها به، وهو أنه لا يمزج أبداً بين العمل والمتعة.

لم يتبادلا الكلام بعد ذلك إلا حوالى الواحدة بعد الظهر، حين أوقف السيارة أمام فندق قائلاً إنهما سيتناولان الغداء.

الصباح الذي بدأ متجهما، انتهى ببشاشة بعد حديثهما القصير ذاك.

على المائدة تنازل يسألها بتهذيب عما تريد أن تأكل. قابلته هي بالمثل، حتى إنها منحته ابتسامة عندما مدّ الاثنان يديهما إلى المملحة في وقت واحد.

رفع يده قائلاً بشهامة: «تفضلي».

كان الطعام عبارة عن «ستيك» وفطائر كبد لذيذة جداً.

سألها: «هل تتبعين حمية للسمنة؟»

أجابت: «إنني أستهلك من الطاقة ما يجعلني بحاجة إلى الدهن»، ثم رفعت بصرها إليه تريد أن تشرح له أنها تلعب التنس مرتين أو ثلاثة أسبوعياً، وإذا بكل دلائل التهذيب قد تلاشت من وجهه. لماذا ينظر إليها بكل هذا التجهم؟ لم تكن تدري.

تمتم بلهجة لاذعة: «أفترض ذلك. أظنك اتصلت بعشيقك قبل...».

هتفت مصعوقة: «عشيقي؟»

قال متهكماً: «أعلم أن لديك أكثر من واحد، لكن من عدم اللباقة ألا تخبري العشيق الذي كنت تنوين قضاء العطلة الأسبوعية معه، بأن العطلة ألغيت».

هتفت: «سيمون؟ أتعني سيمون؟»

وسرعان ما أدركت اختلاط الأمر عليه، فتصاعد غضبها ووجدت نفسها أمام أمرين: إما أن تترك إليوت كوانتريل يعتقد ما يريده شيطانه، وإما أن تصحح مفهومه.

- إنه الشخص الذي يتصل بك كثيراً.

ردت بحدة: «حسناً... لن يتصل بي بعد الآن».

قال مجفلاً: «هل غضب منك؟»

- لم يكن... مسروراً.

بذلت جهداً خارقاً كيلا تأتي على ذكر نادي التنس، خاصة وأنها لن تجرؤ أبداً بعد الآن على الذهاب إلى النادي مرة أخرى، فلا شك أن سيمون سيقتلها إذا رآها.

تساءل وقد اختفى التهكم والعداء من صوته: «أخبرته بأنك مسافرة معي بدلاً من الذهاب إليه».

تمالكت كايسي نفسها بسرعة من الصدمة التي أصابتها نتيجة ظنه بها. لقد بدا إليوت وكأنه يجد لذة شيطانية في إفساده عطلتها الأسبوعية، فلم تستطع الانتظار لكي تخبره كم هو مخطىء.

- أخبرته بأن رئيسي يريد مني أن أعمل في هذه العطلة الأسبوعية. نعم استاء سيمون قليلاً، ولكنه يعلم أن سوزان بمثل مهارتي في...

قاطعها هاتفاً: «يا إلهي! أتقولين بأنكما تتبادلان الشركاء؟»

أجابته ببرودة: «التبس عليك الأمر كثيراً. أنا وسيمون وسوزان جميعنا أعضاء في نادي التنس.. كل ما أردت قوله هو أنني غير قادرة على أن أشارك سيمون بمباراة التنس أثناء عطلة الأسبوع هذه، أما سوزان بيليس فهي التي ستأخذ مكاني».

سألها: «هل كنت ستلعبين هذه المباراة بعيداً عن بيتك؟» مع أن نظرة الاحتقار تلاشت من عينيه، لكن لم يبد عليه الاهتمام بما قالت.

أومأت كايسي تقول: «كنت سأقود السيارة، لكن سيمون اتصل بي أمس قائلاً إن أنغس استعاد سيارته من الكاراج، وهذا يعني أنه ليس عليّ أن أزعج نفسي».

أسكتهما عن الكلام وصول النادل، فأخلى المائدة من الأطباق المستعملة وقال إنه سيحضر قائمة الحلويات.

بعد ذهابه استبعدت كايسي فكرة تحسن موقف رئيسها منها.

كان شديد التوتر والعدوانية، وهو يسأل ببرودة: «هل ڤنسنت جينر عضو في النادي هو أيضاً؟»

قالت بحزم: «لقد نلت الكفاية.. من الطعام. المعذرة أريد الذهاب إلى التواليت».

لقد تحمّلت منه ما فيه الكفاية! سلوكه، رؤيته الإثم في كل ما تقوم به...

وجدت أنه يحافظ على لياقة معينة جعلته ينهض واقفاً في اللحظة التي وقفت فيها، لكنها رفعت رأسها بشموخ وخرجت من غرفة الطعام بدون أن تلتفت إليه.

عندما وصلا إلى مقصدهما، كان الوقت عصراً، فأسرعت كايسي بالنزول... كانت قد عاهدت نفسها ألا تتحدث إلى إليوت الذي ترك الصمت يسود بينهما بقية الرحلة.

لا بد أن دوغال إيتكين سمع صوت السيارة لأنه جاء مهرولاً

لتحيتهما. كان رجلاً أصلع ذا لحية بيضاء مشعثة، ويرتدي كنزة أتلفها العث. على عكس إليوت، كان كثير الكلام مما جعل كايسي تشعر بالحيوية والمرح.

قال بحرارة وهو يصافح كوانتريل: «إليوت، بنيّ».

ثم رأى كايسي، فسأله: «ومن هذه التي أحضرتها معك لتراني؟».

ـ إنها سكرتيرتي... فإذا كان آخر اختراعاتك جيد كما يبدو يا دوغال، فقد نحتاج إليها. أقدم إليك يا كايسي صديقي وأستاذي دوغال إيتكين.

أنهى حديثه بعد أن استفاقت كايسي من الصدمة التي تملكتها حين سمعته يناديها باسمها.

صافحها دوغال بقوة وهو يقول:

ـ فلورنس تصرّ على أن أدخلكما إلى البيت مباشرة لتناول الشاي، لكنني واثق من أنكما تفضلان إلقاء نظرة على ورشة العمل أولاً.

قال دوغال ذلك وقد بدت عليه اللهفة لعرض اختراعه عليهما.

وشعرت كايسي أنه، حتى أقسى القلوب، لا تنكر عليه هذا الحق.

وهكذا ارتفع إليوت درجة في عينيها عندما قال له: «هيا، أرشدنا».

لحقت بالرجلين إلى ورشة فسيحة بدا أنها قد تنهار لأدنى هزة.

كان الداخل مشرقاً بالأضواء. لأول وهلة بدت وكأنها لا تحتوي شيئاً سوى كومة من الأجهزة. سار دوغال نحو آخر عمل يزهو به.

همّت كايسي بأن تخرج دفتر الملاحظات من حقيبتها، لكنها ما لبثت أن توقفت وهي ترى الرجلين ينحنيان فوق بعض الرسوم الهندسية.

بعد ذلك بعشر دقائق تمنت لو أنها أحضرت معطفها من السيارة لشدة البرد في هذا المكان غير المكيّف.

وإذ نسيها المهندسان وهما يتحدثان بلغة مبهمة، أخذ شعورها

بالبرد يزداد. وضعا الرسوم الهندسية جانباً، وانكبا على قطع معدنية غريبة الشكل مقلوبة على قفاها، يقلبانها من نواحيها المختلفة. أخذت تتساءل كيف ستتمكن من إمساك القلم بأصابعها المتجمدة برداً، عندما يحين وقت تدوين الملاحظات.

حيّرها ألا يشعر أحد من الرجلين بتدنّي درجة الحرارة. لكن بعد نظرة أخرى إلى الرجلين اللذين بدوا غارقين بما هو أشبه بأجزاء متفككة من جهاز ما، تأكّدت أنها لو وقعت متشنجة من البرد لما سمعا صوت ارتطامها بالأرض.

لكن مظاهر اهتمام دوغال باختراعه، واسترسال إليوت في تفحصه، جعلتها تدرك أن المقاطعة غير مستحبة.

ثم حدثت مقاطعة فجائية، جاءت من شاب أشقر الشعر في أواخر العشرينات من عمره. دخل إلى الورشة وهو يقول:

ـ أمي تقول...

ثم جمد في مكانه عندما وقع بصره على كايسي.

تابع يقول: «لقد نسيت ما قالته أمي».

ثم تقدم منها، وابتسامة عريضة تلوح على وجهه:

ـ أنا غيڤين إيتكين، ابن دوغال، الذي ليس مهندساً.

ـ وأنا كايسي بيترز، سكرتيرة إليوت، التي ليست مهندسة.

ضحك غيڤين وكذلك كايسي، لكن ابتسامتها تلاشت عندما التفت إليها إليوت فجأة محملقاً فيها لأنه سمعها تذكر اسمه الأول، ثم ما لبث أن عاد إلى الجهاز الذي كان يفحصه.

هتف بها غيڤين بعد أن صافحها:

ـ إنك متجمدة من البرد. هيا! ادخلي إلى المنزل.

وحاول أن يجرها من الورشة لكنها رفضت قائلة بحزم:

ـ إنني هنا لأدوّن ملاحظات.

ونظرت إلى حيث كان رئيسها يعيد تركيب الجهاز.

قال غيڤين بإصرار: «خذي إذن معطفي».

ثم خلع معطفه ووضعه فوق كتفيها قبل أن تجد وقتاً للاعتراض.

عندما انتهى الرجلان من الورشة، كان الدفء قد سرى إلى أوصالها. لكن النظرة الباردة التي رمقها إليوت بها وهو يراها واقفة مع غيڤين ملتفة بمعطفه الواسع، أرسلت القشعريرة في ظهرها.

لم تتلق، حتى الآن، أمراً بتدوين ملاحظات. لكنها أدركت من عيني دوغال المتألقتين وابتسامته العريضة أن اختراعه نجح في الاختبار.

قال إليوت مخاطباً دوغال وعينه على كايسي:

ـ سنتحدث عن تفاصيل العقد أثناء تناول الشاي الذي وعدتنا به فلورنس.

سار الرجلان أمامها وأمام غيڤين وتوجها نحو المنزل. عندما فتح غيڤين لها الباب، رأت كايسي أن دوغال لم يضيّع دقيقة لكي يخبر زوجته أن إليوت سيشتري اختراعه.. كان الزوجان يتعانقان وقد تملكتهما البهجة لأن دوغال نال أخيراً نتيجة تعبه الشاق الطويل، لذا لم تشأ كايسي أن تتقدم قاطعة عليهما هذه اللحظة التي طال انتظارهما لها.

لكن انتظار غيڤين لها جعلها تتقدم إلى الغرفة حيث نظرت إلى لهب المدفأة المتأجج.

ـ كفى.

هتف غيڤين بذلك لوالديه، ثم توجه نحو إليوت كوانتريل يصافحه.

ثم تعرفت إلى فلورنس أيتكين التي ما إن صافحتها حتى هتفت بها:

ـ إنك متجمدة من البرد، تقدمي نحو النار.

عندما قال دوغال إن الشاي سيدفئها، ألقت زوجته نظرة مستسلمة على كنزته. وبنظرة الشخص الذي تخلى عن محاولاته في جعله أنيقاً، اتجهت لتصنع الشاي.

عادت كايسي إلى طبيعتها حين أخذ الرجلان يتناقشان في العقد الذي سيكون بين دوغال ومؤسسة كوانتريل، وعادت الحياة إلى أصابعها عندما جلست قرب المدفأة، فانطلق القلم فوق دفتر الملاحظات.

لاحظت كايسي مبلغ الإنصاف والاستقامة اللذين اتسمت بهما معاملاته. كان دوغال يطير فرحاً، بحيث كان سيوافق على أي شرط، وكان سريع التنقل من شرط إلى آخر، فكان إليوت غالباً ما يتوقف مشيراً له إلى بعض التفاصيل التي أغفلها دوغال. في النهاية مُنح دوغال لقاء اختراعه ثمناً سخياً. ومع ذلك، أصرّ إليوت على ألا يوقع دوغال الاتفاقية قبل أن يعرضها على محاميه.

عندما أعادت كايسي دفتر ملاحظاتها إلى حقيبتها، كان الجو ما يزال مشحوناً بالإثارة. أحضر إلى المائدة المزيد من الشاي والفاكهة والحلوى. وعندما اقترح غيڤين، وعيناه عليها، أن يذهبوا جميعاً هذه الليلة لتناول العشاء خارج البيت احتفالاً بالمناسبة، أدهشها إليوت بحسم الموضوع بقوله:

ـ هذا غير ممكن مع الأسف، إذ علينا العودة قريباً.

هتف غيڤين: «هل تعودان إلى لندن الليلة؟ لقد قطعتما مئات من الأميال، ولن تصلا قبل...».

قاطعه أبوه وهو ينظر إلى تلميذه السابق:

ـ إن إليوت رجل كثير الأشغال بنيّ. في الأيام السالفة، يا إليوت، كانت تنقلاتك دائماً سريعة.

تساءلت كايسي عما جعله يطلب منها إحضار حقيبة ملابس لقضاء

ليلة خارج البيت، ما دامت ستعود في تلك الليلة ذاتها. أو بالأحرى في الصباح لأنهما لن يصلا إلى لندن قبل ساعات الصباح الأولى.

خرج الثلاثة يودعونهما، وبعد أن ابتعد دوغال وزوجته عن السيارة، تحول غيڤين إلى نافذة كايسي وهو يقول بابتسامته المعتادة:

ـ تذكرت لتوّي أنني مدعوّ إلى عرس في لندن في العطلة الأسبوعية القادمة.

بادلته كايسي ابتسامته، متظاهرة بأنها لم تلاحظ علامات فروغ الصبر على إليوت.

تابع كيڤين يقول: «هل لديك مانع أن أراك أثناء وجودي هناك؟».

لاحظت تململ رئيسها ورغبته في الإسراع بالذهاب، فلم تجد كايسي سوى طريقة واحدة تنهي بها الحديث، فقالت:

ـ هذا يسرني.

ولكن السيارة انطلقت بها قبل أن تجد وقتاً لإعطائه رقم تليفونها.

أغلقت كايسي النافذة. ولم يمض وقت طويل حتى تحول إليوت من ذلك الشخص المهذب اللطيف في منزل دوغال وفلورنس إلى ما كان عليه سابقاً، وسمعته يستغرب كيف تذكر غيڤين سريعاً ذلك العرس الذي سيحضره في لندن. وفجأة، انفجر بها قائلاً:

ـ لم تستطيعي المقاومة، أليس كذلك؟ أولاً، الابتسامة المشجعة، ثانياً، النظرة الداعية. لا رجل آمِنٌ منك، سواء أكان متزوجاً أم أعزب.

تملكها الذهول لهجومه هذا حتى لم تستطع النطق، لكنها تجاهلت حقيقة أنه رئيسها وقالت:

ـ لكنك أنت آمن.

ـ لحسن حظي!

لم يكن لديها جواب لهذا. مضت ساعة وهي تغلي في داخلها من كلامه الجارح، ولعل ما ضايقها أنها لم تجد في قاموسها ألفاظاً من

السوء بحيث تناسبه.

كانت تعتقد أن ابتسامة المودة لا تضر أحداً، وقد أغاظها أن يرى هذا الطاغية الذي يجلس بجانبها في هذه المودة الطبيعية مجرد تشجيع للجنس الآخر.

كانت ما تزال غاضبة عندما أوقف السيارة أمام فندق ريفي. ترددت بين أن ترفض عشاءً معه وتبقى في السيارة، وبين شعورها البالغ بالجوع.

خرجت من السيارة بدون أن تبتسم، وعندما رأته يخرج حقيبتها وحقيبته من المقعد الخلفي أدركت أنهما سيبيتان تلك الليلة في الفندق.

دخلت معه إلى الفندق ووقفت صامتة أما هو فقام بالإجراءات اللازمة، ثم تذكرت أنه لم يقل قط إنه ذاهب إلى لندن الليلة حين اقترح غيڤين الاحتفال بالعقد بتناول العشاء خارج البيت. كل ما قاله هو أن عليه العودة قريباً.

أخذت إلى غرفة قريبة من غرفته، ثم قال لها إليوت باختصار:

ـ أراك بعد عشر دقائق.

ثم دخل إلى غرفته.

دخلت كايسي إلى غرفتها.. كان كلامه واضحاً فهو يريد تناول العشاء ولن يسمح لها بالتأخر دقيقة واحدة لأي عذر أنثوي.

بعد عشر دقائق بالضبط خرجت من غرفتها لتلتقي رئيسها خارجاً من غرفته. سارا معاً بصمت متوجهين إلى غرفة الطعام.

عندما أنهت الطبق الأول، بدأت بالثاني... وبدا أنه ليس لدى إليوت ما يقوله لها، وكذلك هي.

تصورت أن العشاء سيمرّ بدون تبادل كلام. لكن رئيسها قطع الصمت فجأة بقوله:

ـ هل تلوذين دوماً بالصمت والعبوس عندما يعاتبك أحد؟

ـ العبوس؟ لكنني لست عابسة.

ـ أين إذن تلك الابتسامة الشهيرة؟

لم يسبق لكايسي قط أن فكرت في ضرب رجل، لكنها أوشكت الآن أن تضربه فعلاً، لولا سيطرتها على أعصابها.

وبما أنها تصورت أنها ستخسر وظيفتها إذا ما أقدمت على ذلك أمام الجالسين في المطعم امتنعت عن قول شيء. ما الذي حدث لها؟ تساءلت عما إذا كانت قد انهارت.

قالت له بجمود: «مستحيل عليّ، يا سيد كوانتريل، أن أبتسم لك أو يظهر على وجهي أي تعبير قد يُفسّر بأنه إغراء».

رأته يعبس وهي تذكره بما قاله لها في أول يوم رآها فيه، بأنه سيطردها إذا ما وجهت إليه ولو نظرة إغراء واحدة. كانت شبه واثقة من أنه إما سيدعم قوله ذاك، وإما سيقول شيئاً مشابهاً، لكنه لم يقل سوى:

ـ ماذا حدث لـ... إليوت؟

ظنت لأول وهلة أنه يدعوها لاستعمال اسمه الأول، لكن المنطق نقض تلك الفكرة. تذكرت كيف قالت لغيڤين في معرض المزاح إنها (سكرتيرة غير مهندسة لإليوت) وأدركت أنها مجرد إشارة منه لهذا أو أنه يعنفها لوقاحتها في ذكر اسمه الأول.

ساورها الإغراء في أن تغامر بوظيفتها فتخبره بما تحب أن يحدث لإليوت. لكن ما إن هدأ روعها، حتى استيقظ العناد في نفسها يرغمها على عدم الاعتزاز. كان يفترض أن يكون من الاستغراق بعمله بحيث لا يسمع ما يقوله الآخرون.

يبدو أنه كان ينتظر جوابها، فتمتمت تقول:

ـ كانت تلك مزحة.

عندما رأت من عبوسه أن هذا أيضاً لم يعجبه قالت:

ـ لقد أنهيت الحلوى.

ثم نهضت بهدوء، وقد تملكها الغضب والسأم من هذا الرجل السيء الطباع، وغادرت المطعم.

وهي في الطريق إلى غرفتها، أعادت تقويم تلك الكلمة التي خلقت كل ذلك الإرباك. لم يكن إليوت كوانتريل مربكاً إلى هذا الحد، لكنه يثير الغيظ. انعطفت عند الزاوية وهي تفكر في ذلك، وإذا بها تصطدم بمدير الفندق الوسيم الذي كان قادماً من الجهة المقابلة فسقطت على الأرض.

استغرق افتراقهما عن بعضهما بعضاً لحظات عدة، وعندما نهضت قالت باسمة بأنها هي المخطئة، لكن المدير كان مهتماً جداً بالصدمة التي تلقتها نتيجة تصادمهما، فسألها بقلق:

ـ هل أنت واثقة من أنك لست بحاجة إلى شراب مهدىء؟

لكن كل ما أرادته كايسي وهي ترى إليوت قادماً نحوهما، هو متابعة طريقها. كان المدير قد وصل إلى قوله: «إذا كنت تفضلين تناول الشراب في غرفتك، فمن السهل عليّ أن...» عندما أزاحه إليوت جانباً وأمسك بذراعها واقتادها بعنف إلى باب غرفتها.

كان الغضب العنيف بادياً على ملامحه، لكنها كانت هي غاضبة أيضاً، ليس لغلظته التي لا تقبل الصفح نحو مدير الفندق، بل لعنفه وهو يجرها إلى غرفتها جراً.

كادت تفقد السيطرة على أعصابها عندما مدّ يده يأخذ منها مفتاح الباب ليفتحه، ثم يدفعها إلى الداخل وهو في أثرها.

ـ يا إلهي! ألا تكفين أبداً عن ذلك؟ هل لديك مرض ما أم شيء آخر؟ من شريك النادي، إلى مدير الفندق...

وإذا بدويّ صفعة سدّدتها إلى وجهه، يتردد في الجوّ.. لقد فقدت السيطرة على أعصابها، لكنها لن تصبر بعد الآن على أي شخص

يتحدث إليها بهذا الشكل، مهما كان موقعه.

خيّم الصمت على أثر ذلك ثم أدركت كايسي ما فعلت، فشعرت بالضياع. كان هلعها لصفعها رئيسها يضاهي ذهوله وهو يتلقى أول صفعة في حياته من امرأة.

حاولت كايسي أن تفيق من هول ما فعلت، عندما رأت ملامحه المتجهمة تتغيّر إلى غضب لا حد له. وبسرعة، تراجعت خطوة إلى الخلف مذعورة، لكنه قبض على يدها يجرها إليه مزمجراً:

ـ أنت الجانية على نفسك، أيتها السيدة.

وَثِقت، أنه لشدة غضبه، سيوجه لها لكمة، لكنه فجأة جذبها إليه بشدة.. عند ذلك فقط أدركت أنه يفكر في عقاب مختلف تماماً.

فتحت فمها لتصرخ، لكنه أسكتها بعناق غاضب بالغ العنف

دفعته عنها وقاومته بفزع، لكنه لم يتركها بل اشتدت ذراعاه حولها.

قاومته بشدة محاولة التملص منه، ولكن عبثاً. عند ذلك أدركت أنها بتلك الصفعة، قد حولته إلى شيطان غاضب يريد معاقبتها.

وفيما كانت تحاول التخلص منه، شعرت بخفقات قلبها تتسارع، ونسيت سبب هذا كله، وانفتحت قبضتها التي كانت تلكم بها كتفه.

وبطريقة لا إرادية التفت ذراعاها حوله وبادلته عناقه... ولكنه فجأة دفعها عنه بعنف.

صعقت وهي تراه ينفلت من بين ذراعيها، وصعقت مرة أخرى وهي تدرك أنها تجاوبت معه! وعندما وقفت على ساقيها الواهنتين تنظر إليه، كان هو يهتز قليلاً..

ثم سمعته يتأوه: يا إلهي!

جعلها هتافه هذا تدرك أن اللوم سيقع عليها وحدها، في ما حصل الآن.

قالت تتهمه: «أنت من بدأ كل هذا».

لكن صوتها كان خالياً من القناعة.

ألقى عليها نظرة ملتهبة غضباً، ثم صرخ بها:

- بالله عليك! اذهبي إلى فراشك.

ثم اندفع خارجاً من الغرفة.

بقيت ساعات تتصور ما حدث لها لكي تتجاوب مع ذلك الوحش بذلك الشكل... وتتساءل كذلك عما إذا كانت، مع ضوء النهار، ستبقى في وظيفتها.

* * *

٤ - . . . في بيتها!

هادئة.. بعد ليلة أرقة أخذت كايسي تتساءل متى كانت تعتبر نفسها هادئة؟ عاودتها ذكرى الصفعة التي سددتها إلى وجه إليوت، وهي تستحم وترتدي ملابسها.

توقعت أن يرغب في السفر باكراً، لكنها عندما أسرعت إلى المطعم، تمنت لو بإمكانها أن تنسى كل ما حدث في الليلة السابقة.

على مائدة الإفطار، تساءلت عما إذا كان عليها أن تطلب القهوة لشخص أو لشخصين، فلما قالت للنادل إن السيد كوانتريل سيوافيها قريباً أخبرها أنه سبق أن تناول الإفطار.

من الواضح أن إليوت لم يكن ينوي التأخر، وهكذا رأت أن من الأفضل أن تسرع في تناول الطعام كيلا يتركها ويرحل.

قالت للنادل: «أريد قهوة وخبزاً محمصاً فقط، من فضلك».

حاولت ألا تشعر بالقلق. هل من الممكن أن يتركها إليوت ويرحل وحده؟ عندما تذكرت ما فعلت، لم يساورها شك في أنه سيفعل ذلك، وأنه سيخبرها، في أول فرصة، أن لا مكان لديه لموظفة تلجأ إلى القوة البدنية للتعبير عن غضبها.

تذكرت الإنصاف الذي يتصفّ به، وتساءلت عما إذا كان من الإنصاف بحيث يرى أن عناق القصاص ذاك يعادل الثأر! عاد التوتر يتملكها مرة أخرى، وأخذت تمضغ الخبز المحمص وهي تنظر من

www.elromancia.com

خلال الفاصل الزجاجي في المطعم، لترى إذا مرّ إليوت خارجاً.

ثم أدركت بشكل مفاجىء أنها تريد أن تحتفظ بوظيفتها! مضت دقيقة كاملة قبل أن تستوعب ذلك وذهلت وهي تلمس مدى لهفتها إلى متابعة العمل عنده.

كان عملها عنده معقداً غالباً، لكنه يبقيها متنبهة على الدوام وكان عليها أن تعترف أنها لم تشعر في السابق بمثل هذا الرضا عن نفسها في العمل، وهذا الإحساس لا يأتي إلا من خلال العمل مع رجل مثل إليوت.

غادرت المطعم قبل أن تنهي قهوتها، وهي تدرك أن عليها أن تحافظ على وظيفتها بشتّى الوسائل حتى ولو ألجأها الأمر إلى الاعتذار عما فعلت، رغم استحقاقه ذلك.

ذهبت مباشرة إلى غرفة إليوت لكي تخبره بأنها جاهزة للذهاب في الوقت الذي يريده. رأته، لأول نظرة، عابس الوجه كما كان عندما غادر غرفتها الليلة الماضية.

قال باختصار: «أحضري حقيبتك، سنذهب الآن».

من المؤكد أن هذا ليس وقت الاعتذار.

جلست في السيارة التي سرعان ما انطلقت بهما. وكانت الرحلة تستغرق ساعات طويلة، فلم تجد ما يدفعها إلى المجلة لتخرج كل ما يجيش في داخلها. كان أشبه بتمساح تؤلمه أسنانه... لان قليلاً أثناء الغداء إنّما هذا لا يعني أن ليونته تلك دامت وقتاً طويلاً، وعندما أخذت عجلات السيارة تطوي المسافات طياً، أدركت كايسي أن عليها أن تختار اللحظة المناسبة بدقة وحذر. ومن ثم أخذت تخطط بصمت كيف ستبدأ الحديث في أهم الأمور التي يتوقف عليها استمرار وظيفتها، وفجأة تملكتها رجفة.

ـ هل تشعرين ببرد؟

ألقى عليها هذا السؤال باختصار. وفجأة، تبدّد عزمها على انتظار اللحظة المناسبة للكلام. يكفي أنه تكلم الآن، فقالت له:

ـ أنا بخير، فالسيارة دافئة.

التفتت تنظر إليه، مستعدة لترديد ما حفظته من كلام، ولكن عندما رأت ملامحه الارستقراطية المترفعة تلاشى من ذهنها كل شيء. نسيت وظيفتها ولم تتذكر سوى ما اتهمها به في أخلاقها. كل ما تعرفه الآن هو أنها لا تريد منه الاستمرار في أخذ هذه الفكرة السيئة عنها.

بدأت تقول: «بالنسبة لليلة الماضية..».

قاطعها بجفاء: «انسي الأمر».

ـ ولكن..

ـ قلت لك انسي هذا، فمزاجي لا يساعدني على سماع ما مضى.

ـ أنا لا أعني موضوع.. ما حدث بعد..

وسكتت وهي لا تدري كيف تقول ما تريده.

مضت لحظة صمت حاولت فيها الاحتفاظ بهدوئها لكي تستطيع قول ما تريده.

ـ كل ما أريد منك أن تعرفه هو أنني لست تلك الفتاة المنحلة الأخلاق التي تظنها.

قال ساخراً: «لقد رأيت ذلك عندما كنت بين ذراعي».

شعرت بالغثيان وهي تتذكر كيف أنها لم تقاومه إلا قليلاً عندما عانقها، ثم استسلمت بعدها إلى عناقه بلهفة.

قالت وقد تصلب جسمها:

ـ لست كذلك، في العادة، أنا...

ـ لا أريد معرفة عاداتك.. إن تصوراتي لا تخطىء. لا أريد أن أسمع تعداداً للرجال الذين سلمتهم نفسك.

ـ أنت خسيس ذو أفكار آثمة! ليس عليّ أن..

صرخ بها: اخرسي بحق الله، ودعيني أركز على قيادة السيارة.

قالت غاضبة:

ـ اللعنة على قيادتك. لن أخرس، فلست فتاة ساقطة أتعدّى على مديري الفنادق..

قاطعها ساخطاً:

ـ لولا حضوري لأقمت في غرفتك حفلة جهنمية مع مدير الفندق.

ـ لو حضرت قبل دقيقة واحدة، لرأيت المدير يرفعني عن الأرض، بعد أن سقطت نتيجة تصادمنا. ظن أنني أشعر بالدوار. فهل ثمة غرابة في أن يعرض عليّ شراباً منعشاً؟

ـ كنت تشعرين بالدوار وأنت تبتسمين له.

سكتت كايسي بسأم.

بقيت أفكارها مشوّشة طوال الأميال التي قطعاها بعد ذلك. ما الذي يجعلها تحرص على أن يحترمها بينما يستحق هو أبشع النعوت؟

ستتركه في جحيم أفكاره ولن تحاول تبرئة نفسها أمامه. وما دامت نعتته صراحة بالخسيس، ونعتت أفكاره بالآثمة، فالنتيجة واضحة. سيتصل صباح الاثنين بالسيد «أوينز» في مكتب التوظيف لكي يجد له سكرتيراً بدلاً منها، وهي لن تهتم مثقال ذرة لذلك.

عندما حان وقت الغداء، ترجلت من السيارة. إذا ظنت أن إليوت سيلين مع تقدم النهار، فقد خاب ظنها. فقد تناولا بعض الشطائر بسرعة والصمت يخيّم عليهما.

ما إن اقتربا من لندن حتى بدأ الغضب الذي تشعر به نحو الرجل الصامت يتبدّد. وعندما انعطف بالسيارة إلى الطريق الذي يؤدي إلى بيتها، اعترفت بأنها في غاية السأم، ووثقت من أن أي كلمة وداع سيقولها ستكون بمثابة طرد من وظيفتها.

عندما أوقف السيارة أمام بابها وأخرج حقيبتها من المقعد الخلفي،

أخذتها منه وهي تقول بشراسة:

ـ حسناً، هل أحضر صباح الاثنين إلى العمل أم لا؟

نظر إليها، فبادلته النظر وهي تشعر بالرغبة في صفعه للمرة الثانية، فقد تعمد عدم الفهم وهو يجيبها بقوله:

ـ أتعنين أنك تستحقين إجازة بدلاً من أمس واليوم؟

ـ لم أقل شيئاً كهذا. كل ما أريد معرفته هو إذا كنت تنوي استعمال تصرفي كذريعة للاستغناء عن خدماتي.

وإذا به يستدير ثم يبتعد عنها بدون أن ينطق بكلمة، فظنت كايسي أن الأمر انتهى، وأنها أصبحت دون عمل. فسارت نحو الرصيف ورأسها مرفوع. بعد ذلك فتحت باب المبنى الذي تسكن فيه وانتبهت إلى أنها لم تسمع صوت تحرك السيارة بعد. التفتت إلى الخلف وإذا بها ترى إليوت واقفاً بجانب باب السيارة، ينظر إليها.

ثم قال آمراً: «كوني في المكتب غداً الساعة التاسعة بالضبط، يا آنسة بيترز».

ارتدت تدخل شقتها، وقبل أن تغلق بابها ابتعدت السيارة.

وضعت حقيبتها على الأرض وأغلقت الباب ثم اتكأت عليه. وما لبثت أن ابتسمت.

غطت ليلة الأحد في نوم عميق. ربما لأنها لم تنم جيداً الليلة الماضية، ولكنها لم تكن تبتسم عندما نهضت من النوم صباح الاثنين بل كانت تشعر بالصداع، وترتجف.. أدركت أنها مصابة بالرشح، وهكذا ابتلعت قرصي أسبرين ثم ذهبت إلى المكتب الذي وصلت إليه في الساعة التاسعة بالضبط.

لم تتوقع أن يلاحظ إليوت سوء صحتها وهي تحييه بوجه مشرق.

عندما كان يملي عليها رسائله، كانت تكثر من مسح أنفها بالمنديل، وإذا به يسألها فجأة: «هل أنت مصابة برشح؟»

ـ لا أجرؤ على ذلك.

قالت ذلك بشبه ابتسامة، ويبدو أنه كان يبادلها حسها الفكاهي هذا، إذ علت شفتيه شبه ابتسامة هو أيضاً لكنه سرعان ما استعاد رزانته، وقال بحدة: «أين كنا من الرسالة؟»

كان صباح ذلك الاثنين مشحوناً بالعمل كالعادة، وما إن حلت ساعة الغداء حتى خرجت كايسي لتأكل شيئاً مبتعدة بأفكارها عن العمل، فشعرت بتحسن كبير.

عادت إلى مبنى مؤسسة كوانتريل، فوجدت سيسيل غلوڤر يتربص لها. وحينما سألها عن حالها، ووضع ذراعه الأبوية حول كتفيها، رأت أن صبرها عليه قد طال، فقالت له:

ـ هل لك، من فضلك، أن تحتفظ بيديك لنفسك؟

فقد أحست بالاشمئزاز لمحاولاته المتكررة لاحتضانها.

وإذا به يصرخ بها غاضباً:

ـ أتعرفين لمن تقولين هذا؟ سأشكوك إلى رئيسك.

سارت نحو غرفة المعاطف وكلامه هذا يرن في أذنيها، وتنهدت، فالجرثومة التي التقطتها مهما كان نوعها، قد أضعفت قدرتها على الاحتمال.

لم يتقبل سيسيل غلوڤر اقتراحها بأن يذهب للبحث عمن تتقبل لمساته العاطفية تلك، وقد أدركت كايسي ذلك عندما رأته واقفاً مع إليوت عند عتبة باب مكتبها الموصل إلى مكتب إليوت. وعندما ارتدّ سيسيل غلوڤر وخرج غاضباً، علمت أنه نفّذ وعيده وشكا سوء أدبها مع أحد المديرين.

استعدت لأن يناديها إليوت ليحاسبها على ذلك، لكنه لم يفعل سوى أن أغلق الباب بينهما.

وبقيت طوال فترة العصر تنتظر استدعاءه لها لمحاسبتها. لمّا انتهى

دوام العمل بدون أن يحدث شيء، ذهبت إلى بيتها غير مصدقة بأنه لم يأخذ شكوى سيسيل غلوڤر بعين الاعتبار.

استيقظت صباح اليوم التالي على صوت عطاسها.. لقد أصيبت فعلاً بالرشح. خرجت من سريرها متثاقلة فاستحمت وارتدت ثيابها ثم أسرعت إلى المكتب.

وفي وقت الغداء، عادت إلى حبوب الأسبرين.

ومرة أخرى، وجدت حس الفكاهة لديها مماثلاً لما يتمتع به إليوت.

كانت الساعة الرابعة عندما وجدته، فجأة، بجانب مكتبها وهي تعطس. وكان قادماً من اجتماع. وسمعت، بملل، ملاحظاته وهو يقول: «إذا نشرت عدوى الرشح..».

ـ علينا ألا نقترب من بعضنا بعضاً.. آه!

هتفت بذلك وهي تنظر إليه لترى أنه تذكر مبلغ تقاربهما، فقد رفع حاجبيه وظهرت شبه ابتسامة ساخرة على شفتيه. وعندما همت هي بالابتسام، تذكرت أنه يعترض على ابتسامها الدائم، فقالت بجد محاولة العودة إلى الجو العادي بينهما:

ـ.. لا بد أنني أصبت بعدوى أو بالبرد عندما كنت واقفة قربكما حين كنتما تفحصان الاختراع، كان البرد في تلك الورشة قارساً.

رأته يقطب حاجبيه وقد تبدّد كل أثر للهزل أو التهكم. وعندما تابع طريقه داخلاً إلى مكتبه قال لها ساخراً: «كنت مسحورة بإيتكين الشاب فلم تنتبهي للبرد».

تملكها الغضب، ولكن أي رد كانت ستوجهه إليه، ضاع في عجلتها لإخراج منديلها ثم وصلها صوته يقول: «اذهبي إلى بيتك بحق الله».

صباح اليوم التالي نزلت من سريرها وكانت أسوا حالاً. وفيما

كانت متوجهة إلى العمل، فكرت كيف ستنجز العمل المتخلف من أمس، إضافة إلى عمل اليوم.

رفع إليوت بصره إليها وهي تدخل، لكنها لم تشعر برغبة في تحيته ببشاشة كعادتها. بل شعرت، وهي ترفع الغطاء عن آلة الطباعة، بأنه ترك عمله وجاء ليتحدث إليها.

نظرت إليه، فرأى شحوب وجهها.

سألها: «ماذا تفعلين هنا؟»

لم تستطع أن تفهم ما يعنيه، فأجابت بصوت أبح نتيجة ألم في حنجرتها:

ـ أنا أعمل!

قال بحزم: لا، لا تعملي اليوم، ولا بقية الأسبوع.

ـ ولكن...

ـ هل آخذك إلى بيتك بنفسي أم تعودين وحدك؟

سألها وفي صوته شيء من المودة، ولسبب لا تعرفه، شعرت بعينيها تغرورقان بالدموع.

لن يصفح عنها إذا ما انفجرت باكية إزاء كلماته الرقيقة هذه. تمالكت نفسها معتبرة أن إصابتها بالرشح هي سبب ذلك.

أجابت وهي تعيد غطاء الآلة الكاتبة:

ـ حسناً، إذا كان هذا ما تريده.

وسواء أكانت ابتساماتها تعجبه أم لا، ابتسمت له وهي تتشوق للعودة إلى سريرها.

أمضت نهار الأربعاء ذاك بالنوم المتقطع، والعطاس والسعال، وتناول الأسبرين بشكل منتظم، وفي الساعة الخامسة استيقظت فتوجهت أفكارها إلى المكتب بشكل آلي، على الأخص إلى إليوت كوانتريل، وعادت إلى النوم وإليوت في ذهنها.

أيقظها رنين التليفون، فجذبت معطفها وهرعت إلى الردهة لتجيب.

ـ يبدو أنك مريضة.

قالت سوزان بيليش ذلك وهي تسمع صوتها الأبح. وعندما أخبرتها كايسي بمرضها، هتفت تقول:

ـ آه! هذا حسن.

لكنها عادت تصحح كلامها بسرعة: أنا لا أعني مرضك، ولأنك لم تأتي إلى النادي الليلة الماضية، تساءلت عما إذا كنت مستاءة من شيء.. خاصة أنك تخلفت عن الحضور أثناء عطلة الأسبوع الماضية.

عند ذلك استيقظت كايسي تماماً وقد تملكها العجب لنسيانها كل شيء عن النادي والفريق منذ ذهابها إلى سكوتلندا مع إليوت.

سألتها: كيف حال النادي والفريق؟

ـ لقد انتصرنا. أتصدقين ذلك؟ أنا وسيمون انتصرنا.

ثم بدأت بالثرثرة.

سألتها سوزان إن كانت ذاهبة غداً إلى النادي، وعندما علمت أنها في عطلة مرضية وأن عليها البقاء في البيت فترة، قالت:

ـ وسيمون لن يكون هنا أيضاً... إنه يقوم بمباراة في مكان آخر. ولكن، إذا كنت في البيت، فسأحضر لرؤيتك غداً بعد العمل؟ يمكنني أن أحضر معي طعاماً صينياً فنتعشى معاً ثم أخبرك بكل شيء عن المباراة.

ظنت كايسي أنها عرفت كل شيء عن المباراة، لكن سوزان كانت مستاءة لأن سيمون لن يكون في النادي غداً، فرحبت بها. وهكذا أنهت سوزان المكالمة.

بقيت كايسي واقفة مكانها دقيقة أو نحو ذلك وهي تتساءل عما إذا كان الأفضل أن تعود إلى سريرها أم تعدّ لنفسها فنجان شاي.

صممت أخيراً على الشاي، ولكن قبل أن تتحرك من مكانها، قُرع جرس الباب ولأنها ظنت أن القادم جارة تريد الاستفهام عن شيء ما لم تعر مظهرها المشوّش أي اهتمام وذهبت إلى الباب تفتحه. ولكن الواقف في الباب لم يكن جارة بل إليوت كوانتريل.

قالت مجفلة: «آه! مرحباً».

بدت تحيتها هذه سخيفة في أذنيها، وانصرف ذهنها على الفور إلى تشوش مظهرها.

ـ تفضل بالدخول.

قالت ذلك بلهجة شبه آلية وراحت تفكر في أن وجهها خال من الزينة كتلميذة مدرسة.

عندما دخل ارتدّ يغلق الباب خلفه، أدركت أنها تتصرف كتلميذة مدرسة أيضاً، فحاولت أن تصحح الموقف.

أخذت تحاول جاهدة العودة إلى مظهر السكرتيرة المتزنة، لكنها أدركت أنها ستكون مهمة شاقة، إذ أخذت عيناه تنتقلان بين شعرها الأحمر الثائر ومعطفها المنزلي الأخضر. كيف يمكنها أن تبدو هادئة متزنة وهي تقف أمامه بقميص النوم؟

كانت على وشك أن تسأله إن كان حضوره إليها ليسألها عن ملف لم يجده، أو ما أشبه. لكنه سبقها إلى السؤال:

ـ كيف أمضيت يومك؟

ـ نمت معظم الوقت.

ـ هل أكلت؟

ـ أنا...

وسكتت لتخرج منديلها من جيب معطفها.

قالت له إنها ليست جائعة، وتابعت:

ـ كنت على وشك إعداد الشاي.. هل تريد فنجاناً؟

لم تنته بعد مفاجآت اليوم. كان إليوت مشغولاً على الدوام بحيث كانت واثقة من أنه، في مكان ما من عقله، حفرت كلمات الحكمة الشائعة (لا تؤجل عمل اليوم إلى غد). توقعت منه رفضاً حازماً، ولكنه بدلاً من ذلك قال لها بما يشبه اللطف:

ـ عودي إلى فراشك وسأصنع أنا الشاي.

فعلت ما أمرها به، ثم أخذت تستمع إلى صوت تحركاته في المطبخ.

كانت استعادت شيئاً من اتزانها عندما دخل إليها في غرفة النوم حاملاً صينية الشاي. من غير المعقول أنه جاء إليها لمجرد تناول فنجان شاي معها، وعادت تفكر في أن تسأله عما إذا كان يريد السؤال عن ملف لم يعثر عليه في المكتب.

ولكنها نسيت كل شيء عن هذا السؤال عندما وضع صينية الشاي جانباً، ثم انحنى فوقها مادّاً ذراعيه وهو يقول:

ـ سيلطخ الشاي السرير إذا جلست بهذا الشكل.

وراح يرتب الوسائد خلفها.

حبست أنفاسها وهي ترى وجهه يقترب من وجهها، وذراعاه تقتربان من جنبيها، ثم رفعت رأسها فلامس وجهها كتفه.

ما إن تراجع إلى الخلف حتى لامست يداه كتفيها بشكل عفوي، فسرى في جسدها تيار كهربائي. رفعت بصرها إليه، فتوقفت أنفاسها، ذلك أنها رأت في عينيه الرماديتين الدافئتين المشاعر ذاتها.

أخذ إليوت يحدق إلى عينيها الخضراوين، فأخذ قلبها يخفق. أحست أنه سيعانقها، كانت واثقة من ذلك.. استعدت لتلقي عناقه، ولكنه تحوّل عنها وكأنه قانع بمناولتها فنجان الشاي بدون أن يغامر بالتعرض للعدوى منها.

خفق قلبها، وتملكها الخوف من أنه قد قرأ في وجهها رغبتها في

أن يعانقها. عندئذ حاولت جاهدة أن تجد موضوعاً عادياً تتحدث فيه لتثبت أنها لم تتأثر البتة بقربه منها، لكنه تكلم أولاً، فقال وهو يجلس بكل راحة على كرسي بجانب سريرها:

ـ أتعلمين، يا كابسي بيترز، أنك جميلة جداً رغم أنفك المحمرّ؟

زال توترها ولم تستطع إلا أن تضحك وهي ترد عليه قائلة:

ـ إذا كنت، بقولك هذا، تريد مني أن أشعر بتحسن صحتي، يا إليوت كوانتريل، فقد نجحت.

ضحك بدوره. وخفق قلبها وهي ترى أن وجهه بعدما زال الجد عنه، أصبح أكثر إنسانية و. . . مودة.

سألته: «كيف سار العمل اليوم؟»

أعاد إليوت فنجانه الفارغ إلى الصينية، ثم نهض واقفاً وهو يجيب ضاحكاً:

ـ ليس بالسهولة التي أريد. . افتقدت كفاءتك.

بعد ذلك أصدر إليها أمراً بألا تعود إلى العمل قبل يوم الاثنين القادم، ثم خرج، تاركاً كابسي تتأمل كلامه هذا.

لم يكن ما تريده هو إعجابه بعملها وافتقاده لكفاءتها، بل تريد أن يكون إعجابه موجهاً إليها هي، كابسي بيترز. لقد جذبها إليه بشكل جعل النوم يفارق عينيها فأرقت ساعات طويلة.

تذكرت رغبتها في أن يعانقها كما تذكرت كيف عانقها بعد أن صفعته. انجذبت إليه حينذاك بدون معرفة منها.

أما كيف نما هذا الانجذاب، فهو لغز بالنسبة إليها. في الأسبوع الأول على تعارفهما، شعرت نحوه بالكراهية فهو لم يكن يشبه البتة رئيسها السابق ڤينسنت جينر.

صعقت وهي تتذكر أنها لم تفكر في ڤنسنت منذ مدة، وأدركت مجفلة أنها لم تكن تحب ڤنسنت. بل لم تحبه قط، ليس بالقدر الذي

كانت تظنه على كل حال، فكل ما كانت تشعر به نحو ڤنسنت هو مجرد تعاطف معه لأنه يبوح لها بتعاسته دائماً. . ويا لها من غبية فكيف ظنت أنه الحب؟

إن ذلك الوهم هو ما دفعها لترك العمل عنده، لكنها لم تفتقده بقدر ما كانت تتوقع، ولا اقتضاها نسيانه فترة طويلة.

ابتدأت أجفانها تثقل، وتشابكت في ذهنها صورتا ڤنسنت وإليوت. لكنها كانت واثقة من شيء واحد: أن ڤنسنت على استعداد لإعادتها إلى العمل عنده، إذا شاءت. ولكن لا عودة إلى الماضي، خصوصاً وهي تعمل الآن عند إليوت كوانتريل.

* * *

www.elromancia.com

٥ ـ بعيد عن العين.. قريب من القلب

في الصباح التالي استيقظت متأكدة من أن شعورها نحو ڤنسنت جينر لا يعدو العطف. ولكن إن استطاعت كايسي إنكار الحب نحو ڤنسنت، فهي لا تستطيع إنكار انجذابها نحو إليوت. لم تجد فائدة من العودة إلى العمل اليوم، فهي تخشى أن يعيدها إليوت مباشرة إلى بيتها. وهكذا وجدت لديها وقتاً طويلاً تتمكن فيه من التفكير في إليوت. وأدركت أن عليها أن تخفي أي شعور بالانجذاب نحو إليوت إذا أرادت أن تحتفظ بعملها.

لقد حرص إليوت على أن تعلم أنه لا يمزج قط العمل بالمتعة حتى ولو انجذب هو أيضاً، وإن حدث هذا، فسيكبح انجذابه هذا. فجأة، أخذ قلبها يخفق بعنف وهي تتصور إليوت منجذباً إليها.

لقد جاء لزيارتها الليلة الماضية، بدون أن يذكر ضياع شيء من الأوراق أو أي شيء آخر. بل الواقع أنه لم يتطرّق أبداً إلى شؤون العمل معها.

كما تذكرت أيضاً كيف صنع الشاي بنفسه. كانت واثقة من أنه هم بمعانقتها عندما كان يسوّي الوسائد خلفها.

خطر ببالها عصراً أن امتناع إليوت عن عناقها ربما عائد الى عدم رغبته في التقاط العدوى منها، والذي سيبعده عن مكتبه أياماً.

لكنها أدركت، في الصباح التالي، أنها كانت سخيفة في تعليلها

ذاك، لأن مجرد وجوده في غرفة نومها، يعني المغامرة بتعريض نفسه للعدوى.

وهكذا أدركت أن فكرتها الجنونية هذه لا أساس لها. تخلت عن هذا التفكير، وصممت ألا تدع إليوت يعرف شيئاً عن شعورها نحوه، سواء من كلماتها أو نظراتها.

تصاعد رنين التليفون، وكان هذا إليوت يستفهم عن أمر كانت تعالجه. وأخذ قلبها يخفق مرة أخرى.

قال لها: «يبدو صوتك أفضل لولا بحة بسيطة ما زالت فيه».

ـ نعم، فقد تحسنت جداً جداً.

ـ هل أكلت شيئاً اليوم؟

ـ قليلاً.. صديقة لي آتية الليلة وستحضر معها طعاماً صينياً.

ثار غضبها عندما وجدت نفسها تتحدث في تليفون مقفل. يا له من وغد قليل الأدب، ولكن لماذا تظن أنه سيكون الآن مختلفاً في طريقة معاملته؟

صباح الاثنين، كانت كايسي قد شفيت من الرشح. ولكنها كانت ذاهبة إلى عملها على كل حال حتى وإن لم تكن شفيت. في ذاك الصباح اعتنت بمظهرها بشكل استثنائي، ولكنها عرفت شعوراً بالإثارة لا علاقة له بالعمل الصعب المتوقع في المكتب.

في مبنى مؤسسة كوانتريل، التقت مايك كيري وكان غير مستعجل للدخول إلى مكتبه. وقف يحدثها كيف أن المكان كان موحشاً من دونها.

أجابته بمرح: «قولك هذا هو لطف منك يا مايك، لكن عليّ أن أبدأ العمل الآن. لديّ الكثير من العمل المتأخر ينتظرني».

على بعد ياردات من مكتبها، التقت جوناثان ديڤي الذي كان قادماً من الجهة الأخرى، فقال لها:

ـ أخبروني أنك في إجازة مرضية، لكنني لم أصدق ذلك.. تبدين حسنة المظهر كعادتك.

أجابت باسمة: «وأنا أشعر بصحتي حسنة كعادتي».

وكانت على وشك أن تضيف شيئاً آخر عندما رأت إليوت يتجاوزهما سائراً بدون أن ينطق بكلمة، فقالت لجوناثان بسرعة: «إلى اللقاء».

أدركت من ملامحه المتجهمة أنه لا يفكر في سؤالها عن صحتها.

كانت تحيته لها في أول صباح تعود فيه إلى العمل، هي قوله باختصار:

ـ ما دامت صحتك تسمح لك بالثرثرة مع المديرين، فهي تسمح لك حتماً بالعمل.

حملقت في ظهره وهو يتقدمها لتلحق به، متجهاً إلى مكتبه من خلال مكتبها، مغلقاً الباب في وجهها.

كانت تنظر إلى بابه بكراهية، حينما سمعت صوته يتحدث في التليفون. وما إن توقف عن الحديث، حتى أسرعت قبل أن يستدعيها.

وهكذا بدأ هذا الصباح وهي لا تدري أي شعور في نفسها أشدّ تأثيراً: انجذابها إليه أم كراهيتها له.

كانت تفكر ما إذا كان الانجذاب لديهما مشتركاً، عندما انفتح الباب قبل ساعة الغداء بدقائق، ودخلت امرأة هي آخر صيحة في الحنكة والتكلف، تابعت السير نحو باب إليوت مخلفة وراءها شذى عطرها الفواح، أما كايسي فنظرت اليها ذاهلة.

استفاقت من ذهولها لتسألها وهي تندفع نحو الباب سابقة المرأة:

ـ هل لديك موعد؟

أجابت المرأة وهي لا تكاد تحرك سوى شفتيها المصبوغتين بإفراط:

ـ موعد؟

ـ السيد كوانتريل لا يحب أن يقاطعه أحد...

وسكتت كايسي فجأة وهي ترى الباب ينفتح ويقف إليوت عند العتبة.

قالت الشقراء على الفور بلهجة ممطوطة:

ـ إن هذه التي عندك تشغل كل وقتك يا حبيبي. أنا واثقة من أنها ستصلب نفسها على بابك كيلا تدعني أدخل.

تملك كايسي الذهول بحيث لم تستطع أن تسمع جواب إليوت للمرأة. وكان حالها أسوأ عندما لم يفعل سوى إلقاء نظرة باتجاهها، قبل أن يصحب المرأة إلى الباب الخارجي.

قالت المرأة: «هل حجزت مائدة في مطعمي المفضل، يا حبيبي».

انغلق الباب الخارجي فشعرت كايسي فجأة بانعدام شهيتها. وبدون وعي منها، وجدت نفسها تنهار على كرسي بجانب مكتبها.

ثم أخذت تصحو تدريجياً من الصدمة التي أصابتها. لا مناص من أن تدرك أن شعورها هذا الذي تملكها، لم يكن سوى الغيرة حين سمعت الشقراء تناديه (يا حبيبي).

الذي تشعر به نحو إليوت ليس انجذاباً بسيطاً إذاً، وإنما هو حب! علمت ذلك علم اليقين وحدثت نفسها بأنها لم تعرف مثل هذا الشعور من قبل، وما كانت تشعر به نحو ڤنسنت لم يكن سوى شعور فاتر بالنسبة لهذا.

تناولت حقيبة يدها، ثم ذهبت إلى حديقة عامة قريبة. لكنها لم تستطع أن تهرب من الحقيقة التي اتضحت أمامها بدون سابق إنذار.

فكرت، وصورة إليوت مع المرأة الشقراء ترفض مبارحة خيالها، في أنها مصابة بالهلوسة... إذ كيف يخطر في بالها أن إليوت قد ينجذب إليها هي كايسي، ولو بقدر تافه ضئيل.

ينجذب إليها، هي.. يا للسماء! ماذا حدث لها؟ فهي لا تحتاج إلى إلقاء أكثر من نظرة واحدة إلى تلك الشقراء الأنيقة المحنكة لكي تعرف نوع النساء اللاتي ينجذب إليهن.

تركت كايسي مقعدها في الحديقة، وعادت إلى مكتبها مشغولة البال بإليوت. فرغم انشغاله بالعمل هو على استعداد لترك كل شيء ما إن تظهر شقراؤه المتعجرفة.

لقد أشارت صديقته المحنكة إليها باحتقار بقولها (هذه التي عندك)، وقبل أن تظهر غيظها من ذلك، دعته تلك المرأة (حبيبي). وسرعان ما تأججت في داخلها نار مستعرة.

أما ما أثارها أكثر من أي شيء آخر، فهو مرافقته لتلك المرأة إلى الغداء بدون إلقاء نظرة عليها هي كايسي. كان واضحاً لها عند ذلك، أنه ليس فقط بعيداً عن الانجذاب إليها، بل لا يكاد ينتبه إليها، وكأنها قطعة من أثاث المكتب.

شعرت ببعض الراحة لأنه تأخر في العودة إلى المكتب. لقد بقيت نظرت إلى ساعتها عشرات المرات وعينها على الباب تنتظر عودته، لكن الساعة والثلاث والعشرين دقيقة التي مضت على غيابه أعطتها الفرصة الكافية لكي تقرر عدم التسرع في التصرف.

كانت ردة فعلها الفورية هي أن تناوله استقالتها حال وصوله. لكنها بعد دقائق أدركت أن ليس بإمكانها القيام بأمر كهذا، فلا بد أن يدرك سبب تلك الرغبة المفاجئة في ترك العمل، فقد كان كل شيء طبيعياً حتى مجيء تلك الشقراء. عليها ألا تجعله يرى علاقة بين استقالتها وبين صديقته الشقراء.

علمت كايسي في أعماقها أنها لا تريد ترك العمل، فإذا كان يريد آلة في مكتبه، فهذا ما ستكونه.

لكن خفقان قلبها عند وصوله جعلها تعلم أنها لا يمكن أن تكون

مجرد آلة. تابعت الطباعة بعزم، وحالما وقف بقربها، توقفت عن العمل ورفعت بصرها إليه.

كان إليوت مشرق الوجه بالابتسام وهو يقول لها بصوت يملأه المرح والسرور وكأنه سمع نكتة:

ـ بإمكان السيدة نيزوم في المستقبل أن تدخل إليّ بدون موعد.

أجابت كايسي كأية سكرتيرة كفؤ: سأضع مذكرة بذلك.

لكن شيطاناً دفعها لأن تسأله باتزان السكرتيرة الكاملة:

ـ هل السيدة نيزوم هي السيدة التي زارت المكتب قبل الغداء مباشرة؟

أجاب بهدوء: «هي عينها. لانا نيزوم صديقة حميمة».

ثم تابع السير إلى مكتبه، وعادت هي كايسي إلى طباعتها.

أحيا سرور إليوت الواضح الغيرة في نفسها وكانت تزداد اضطراماً كلما رأته باسماً مرحاً في الساعتين التاليتين. لم يخطر ببالها قط في أنها ستشتاق يوماً إلى أن يعود إلى طبيعته الجافة المشاكسة التي تعودتها. وعندما اقتربت الساعة الخامسة، كانت قد قررت أن المرأة الأخرى أقدر منها على إرضائه وبعث السرور في نفسه.

جعلتها كرامتها تدعي عدم الاهتمام. ولكن الباب مفتوح بينهما، وليس عليها سوى أن تلقي عليه نظرة واحدة لكي تدرك، من فيض المشاعر التي تجتاحها، أنها تهتم حقاً. إنها تحبه، فهي لا تستطيع إنكار ذلك. والحب، كما اكتشفت، يختلف تماماً عن العطف أو الافتتان.

قبل الخامسة بالضبط، تملكتها الدهشة البالغة لأن غيڤين إيتكين اتصل ثم زادت دهشتها عندما سألها:

ـ هل تحسنت صحتك؟

وقبل أن تجيب، عاد يقول: «عندما أخبرني إليوت أنك في إجازة

مرضية لم أتوقع أن أجدك في العمل اليوم».

ـ هل أخبرك إليوت. . .

تلاشى صوتها حين وقع نظرها من خلال الباب المفتوح على رئيسها وهو يرفع بصره لسماعه اسمه الأول، لكن غيڤين كان يتابع قوله:

ـ نسيتِ كل شيء عن قدومي إلى لندن لحضور العرس أثناء عطلة الأسبوع الماضية؟

قالت تكذب بسرعة: «لا، لا، لم أنس. كيف كان العرس؟».

أجاب على الفور مسروراً لتذكرها:

ـ لا بأس لكني كنت سأتركه لو استطعت اصطحابك إلى العشاء ليلة الجمعة تلك.

سألته تقطع الوقت بالحديث:

ـ وهل جئت إلى لندن الجمعة الماضية؟

ـ الحقيقة عصر يوم الخميس. ولكن عندما اتصلت بك لدعوتك للخروج معي ليلة الجمعة، أخبرني إليوت بأنك مريضة.

أن لا يخبرها باتصال غيڤين بها، فهذا ما كانت تتوقعه لأنه منهمك بأمور أهم، مثل لانا نيزوم مثلاً.

ـ أنا آسفة لأنني لم أستطع رؤيتك يا غيڤين. ولكن حالتي لم تكن تسمح بمقابلتك على كل حال.

قال بحرارة: «لم أكن أعرف هذا. ولكن عندما رفض إليوت إعطائي عنوانك أو حتى رقم تليفونك قائلاً إنك بحاجة إلى الراحة التامة، أدركت أن حالتك سيئة جداً».

ـ . . . الأدوية الحديثة تقوم بمعجزات، أليس كذلك؟

قالت هذا متلعثمة وهي تتساءل عما يدعوها إلى التغطية على إليوت الذي لا يهتم بذلك مثقال ذرة.

ـ هل أنت واثقة من أن صحتك تحتمل العمل هذا النهار؟

ـ كل الثقة، لا بد أن هذه المكالمة تكلفك كثيراً.

ـ ستكونين زوجة مقتصدة لرجل ما. هل تعطينني رقم تليفون بيتك لأتمكن من الاتصال بك في الساعات التي تكون فيها التكلفة متدنية؟

لم تجد كايسي مانعاً من ذلك، وانتبهت وهي تفعل هذا إلى أن إليوت يراقبها.

وما إن وضعت السماعة، حتى تعالى صياحه:

ـ هل عليّ أن أنتظر طوال النهار لكي أحصل على تلك الأرقام؟

كل سؤال كانت تريد أن توجهه إليه عن سبب قوله لغيڤين بأنها على أبواب الموت، تبخر من ذهنها.

حملت إليه الصفحة المطبوعة وهي تشعر نحوه بالحب والكراهية في وقت واحد.

عادت الأمور إلى طبيعتها نهار الثلاثاء. لقد عاد إليوت كما كان قبل أن يظهر وجه لانا نيزوم الجميل المصبوغ في المكتب.

كانت أهواء مختلفة تتصارع في نفس كايسي. فيا ليتها لم تقع في حب إليوت! فالحب لا يكون بهذا الشكل.

لم يكن إليوت يبارح خيالها. لذا صممت أن تشغل فكرها بشيء آخر حتى لا تفقد صوابها، وهكذا جمعت ذلك المساء عدة التنس.

قال لها سيمون مفسداً عليها تفكيرها في إليوت:

ـ هجرت التدريب مدة طويلة.

ـ ربما أنت على حق.

قالت ذلك وعادت إلى بيتها لتفكر في ما إذا كان من الأفضل لها أن تقدم استقالتها.

وفي طريقها إلى العمل صباح الأربعاء، أخذت تقلب هذه الفكرة في ذهنها. ولكن مكتب البريد كان بعيداً، وقد أخبرها إليوت أنه

سيغيب اليومين التاليين عن مكتبه. أدركت كايسي أنها لا تستطيع سوى التفكير في هذا الأمر.

سألته بهدوء: «هل لديك عمل في مكان آخر»؟

وكانت تغلي في داخلها لأنه سيغيب يومين. ألن تراه قبل يوم الاثنين؟! أربعة أيام كاملة.

أجاب متهكماً: «إذا لم يكن لديك مانع».

ـ لا، طبعاً. أنا أعتبر ذلك هبة من الله.

قالت ذلك متهكمة هي أيضاً.

ـ احجزي لي مقعداً في أول طائرة غداً إلى بروكسل.

ـ هل ستعود الجمعة؟

أومأ بالإيجاب، ثم انتقل إلى عمل آخر. وعند ذلك خطرت لكايسي أروع وأجمل فكرة.

سألته: «هل ستذهب وحدك»؟

رفع حاجبه متسائلاً، محطماً بذلك آمالها. وتملكتها الغيرة، وقالت متصنعة الهدوء:

ـ لم أكن أسألك عما إذا كنت ستصطحب... صديقة... حميمة. أردت فقط أن أعلم ما إذا كنت ستطلب مني الساعة الخامسة مساء، أن ألغي مواعيدي ليوم غد لأرافقك كما حدث في رحلة العمل الأخيرة.

قال متجهم الوجه: بل احتفظي بمواعيدك.

وهكذا حجزت كايسي تذكرة لشخص واحد.

كان يوم الخميس فارغاً مؤلماً لغيابه عن المكتب.

ومع أنها قالت له إن لديها موعداً هاماً ذلك المساء، ذهبت إلى نادي التنس متلهفة لقتل الوقت، لكن لعبها كان سيئاً للغاية.

أحسّت يوم الجمعة بالراحة حين انتهى، فيوم الاثنين يقترب.

يوم السبت عندما حان وقت الغداء، كانت محبطة كلياً. إنها أول عطلة أسبوعية منذ اكتشفت حبها لإليوت، لكن عطلات المستقبل التي تفترق فيها عنه من الجمعة حتى الاثنين لن تكون أفضل. أما عن شعورها عندما يسافر إلى كندا لمدة أربعة أسابيع، فهذا ما لم تجرؤ على التفكير فيه. لكن ذهابه إلى بروكسل بدون سكرتيرة وضع حداً لأية فكرة منها بأنه قد يصحبها معه عبر المحيط الأطلسي. سكرتيرته السابقة تعمل الآن في فرعهم في كندا، ويمكنها أن تقوم بكل ما يحتاجه هناك، هذا بالإضافة إلى السكرتيرتين الموظفتين في الشركة هناك.

أمرها عقلها بأن تأكل، فصنعت لنفسها طعاماً لم تشتهه نفسها. كانت تغسل الأطباق حين تذكرت أنه دورها الليلة للاتصال بأمها.

وهكذا تحدثت مع أمها، لكنها حرصت على ألا تدع صوتها يظهر أية نبرة فاترة أو أي شيء يبعث القلق في نفس أمها.

كانت يدها على التليفون عندما رن فجأة فرفعت السماعة.

ـ تعالي خذيني.

قال إليوت ذلك بدون مقدمات، ومع أن صوته كان فظاً، فقد شعرت وكأن الشمس بزغت من بين السحب.

خفق قلبها بعنف. ومع ذلك تساءلت عما إذا كان عليها أن تقول له إن لديها في عطلتها الأسبوعية ما هو أفضل من القفز لتنفيذ أوامره، لكنها، على كل حال، كانت متلهفة إلى رؤيته.

أجابت: «بكل تأكيد، أين أنت؟»

ظنت أنه في النادي يتناول غداءه ثم خرج فوجد سيارته مثقوبة العجلة.

لكنه قال باختصار: «في المطار».

ثم أقفل الخط تاركاً إياها تتساءل عن السبب في حضوره السبت بينما كان المتوقع حضوره أمس.

كادت الغيرة تدفعها إلى تركه ينتظر في المطار. لقد صوّر لها خيالها إليوت مع نسخة بلجيكية من لانا نيزوم وقد فاته موعد الطائرة أثناء عشائه معها، وهكذا بقي هناك...

لكن حنينها إلى رؤيته بدّد تلك الصورة، لذا أخذت ترتدي ثياب الأحد الجميلة، ثم غيرت رأيها وارتدت بنطلونها وكنزتها. فمن الأفضل أن يراها قادمة إليه بنفس الملابس التي كانت ترتديها عندما تلقت مكالمته.

فكرت كايسي في أنه من حسن الحظ أن الطريق بين بيتها والمطار طويلة، وذلك ليرى إليوت مبلغ هدوء ورزانة السكرتيرة التي لديه.

افترضت أنه سيسوق السيارة بنفسه من المطار وإليه، ولكن بما أنها سيارة فخمة وحديثة الطراز، لم يشأ تركها في الموقف خلال غيابه.

توقعت أن تراه عند وصولها واقفاً يذرع الرصيف جيئة وذهاباً، فارغ الصبر، ولكنها لم تجده... عندئذ طافت على جميع الكافتريات بدون جدوى. وأخيراً ذهبت إلى الاستعلامات.

أرشدوها إلى ملحق خاص، وما إن وجدت باب الغرفة حتى دخلت إليها.

كان إليوت جالساً وظهره إلى الباب، لم يلتفت.

قالت له ببرودة: «آسفة لتأخري... لم أكن أعلم...».

وسكتت فجأة عندما التفت إليها فرأت مبلغ شحوب وجهه. ورأت أنه يضع نظارات سوداء.

قال باختصار وفروغ صبر وهو يحمل حقيبته:

ـ فلنذهب.

أرغمت نفسها على أن تسأله:

ـ هل كانت رحلتك ناجحة؟

كانت الهمهمة التي أجابها بها ستصدمها لو إنه لم يرسل الرجفة في جسمها بإمساكه مرفقها أثناء السير.

فتحت باب السيارة، متوقعة أن يأخذ المفاتيح ليقودها بنفسه، ولكن عندما ناولها حقيبته وجلس في المقعد الآخر بجانب مقعد القيادة، وضعت أمتعته في الصندوق، ثم اتخذت مقعدها أمام عجلة القيادة.

سألته: «إلى أين»؟

أجاب بخشونة: «إلى البيت».

ثم أسند رأسه إلى مسند المقعد، فشعرت بأنه يعوّض عن سهر الليل... قبل أن تعلم أين هو البيت.

أضاف بصوت متعب: «العنوان هو (أشويت في بيركشاير)» لكنه استطاع أن يبقى مستيقظاً فترة كافية لكي يرشدها إلى اتجاهات عامة.

تحركت كايسي بالسيارة وهي تفكر في أنه أمضى ليلة حافلة، ولعله لم يذهب إلى سريره على الإطلاق. أو... لكنها ما لبثت أن أزاحت من ذهنها هذه الأفكار، إذ لا يحق لها أن تشعر بالغيرة من الأشياء التي قام بها.

ساد بينهما الصمت تقريباً. ولم تشأ أن توقظه إلا بعد أن اشتبه عليها الاتجاه. ولأنها، هذه الأيام، لم تفكر فيه بصفته السيد كوانتريل، ربتت على ذراعه تسأله: «استيقظ يا إليوت إذا لم تشأ أن نتوه».

قال باختصار: «لم يكن إليوت نائماً».

ظنته يكذب. فقد كانت عيناه خلف الزجاجات السميكة السوداء مغمضتين. نعم هي واثقة من ذلك.

سألته ببرودة: «في أي طريق الآن»؟

لم يكن ذنبها أنه كان يخبرها عن الاتجاهات بتمتمة غير مفهومة.

ولم تعرف لماذا عليها أن تقبل لومه عندما قال لها بعنف وهي تناوله حقيبته، إنه كان عليها أن تعلم في أي طريق تذهب.

ردت عليه بحدة:

- لو أزحت عن عينيك نظاراتك الشمسية لعلمت إلى أين نحن ذاهبان.

قال لها بلهجة لا حفاوة فيها:

- الأفضل أن تدخلي وتتناولي بعض المرطبات بعد طريقك الطويل هذا، فستصنع لك مدبرة منزلي فنجان شاي أو غيره.

منعتها كرامتها من أن تحقق رغبتها في رؤية منزله من الداخل ودراسة الناحية الشخصية من حياته خارج المكتب. إذا كان يظن أنه سيدخلها إلى منزله ثم يتركها مع مدبرة منزله، فليفكر في الأمر مرتين.

قالت: «عليّ أن أغسل شعري قبل أن أخرج هذه الليلة... الأفضل أن أعود الآن».

هذا كثير على دعوته المترددة لأنه لم يلحّ عليها.

سرّها أنها لن تراه مرة أخرى قبل الاثنين. ومع ذلك، وهي تراه واقفاً يشيعها بنظراته متوتر الشفتين، بينما كانت تصعد إلى سيارتها، أدركت أنها ما إن تغيب عن ناظريه، حتى تشعر بالشوق إليه.

عادت إلى شقتها وهي تفكر في أنها مجنونة لأنها اندفعت إليه حالما تلقت مكالمته الهاتفية من المطار فهو لم يشكرها حتى. ولكن ما آلمها أكثر هو أنه يراها مجرد قطعة من أثاث مكتبه.

* * *

٦ ـ تحمي رجلها

ذهبت كايسي إلى عملها صباح الاثنين مليئة بالبهجة والإثارة لأنها سترى إليوت، انتهت ساعات الألم الطويلة منذ رأت إليوت لآخر مرة.

لم تعد تتساءل عما فعله بها الحب. تذكرت المزاج السيء الذي كان فيه السبت الماضي. كان عليها أن تشعر بالتمرد تجاه هذا الوغد الذي شاء القدر أن تعمل عنده، بدلاً من هذه اللهفة التي تشعر بها لرؤيته.

كانت أول من وصل، جلست إلى مكتبها تبدأ عمل النهار. من المؤكد أن إليوت في طريقه الآن إلى مكتبه. تملكتها موجة من الغيرة عندما عادت إليها الأفكار عن السبب الذي أوهن قواه وسلبه لون وجهه، وجعله يضع نظارات سوداء. لكن كايسي نبذت بحزم مشاعر الغيرة هذه... سرعان ما يصل إليوت.

لكن إليوت لم يصل. وفي الساعة التاسعة والنصف لم يكن ثمة أثر له. ابتدأت كايسي تقلق. يمكن أن يكون هناك مئة سبب لتأخره هذا. لكنها لم تستطع أن تبعد عن ذهنها احتمال أن يكون قد تعرض لحادث سير، رغم أنه سائق بارع.

تذكرت التنبؤات الجوية بسقوط الثلج. ولأنها فتاة ريفية، كانت تعرف حالة الطرق في هذه الأحوال. إليوت يسكن في الريف هو أيضاً. ربما تساقط الثلج على قرية «أشويت».

تصاعدت مشاعر الألم في نفسها، من المؤكد أن بإمكانه الوصول إلى هاتف ما..

في هذه اللحظة بالذات، تصاعد رنين التليفون.. أدركت على الفور أنه هو، وكان عليها أن تكبح لهفتها فلا تسارع إلى سؤاله عن حاله.

- كايسي؟

- الـ.. السيد كوانتريل؟

أجابته بذلك مسرورة لسماع عدوانيته في الكلام كالعادة لأنها لم تبدأ أولاً بالكلام، ثم تناولت بسرعة القلم ودفتر الملاحظات واستعادت سلوك السكرتيرة، وقالت:

- هل أعاقك أمر عن المجيء؟

- سأعمل من البيت هذا النهار. تعالي واحضري معك...

- هل أنت مريض؟

انطلق هذا السؤال من فمها، مبدداً كل ما تكلفته من اتزان.

صاح بها متضايقاً: «كفى أسئلة بحق الله! تعرفين أين أسكن، أحضري معك ملفات «دارلينغتون» و «برو». سأحتاج إلى...

كانت تدون أوامره بسرعة آلية، وعندما انتهى أخذت تتساءل إذا لم يكن من الأفضل أن تنقل إليه المكتب بأكمله، لكن هذه المبالغة تؤكد أنه لن يعمل في البيت ليوم واحد فقط ولم تكن تعرف السبب.

- أتريد مني أن ألغي مواعيد...

- سكرتيرة ديفي ستقوم بذلك. سيتولى هو كل الأمور، فأنا أريدك الآن.

- نعم سيدي.. لا سيدي.. متى أردت سيدي.

أخذت كايسي تقول ذلك للتليفون الصامت. لكن انزعاجها منه لم يدم. وقبل أن تبدأ بالتساؤل عما يحدث، دخلت سكرتيرة جوناثان

ديفي.

- جئت لأقدم إليك ما يمكن من المساعدة.

بعد ذلك بنصف ساعة انطلقت كايسي، وكان أحد المستخدمين قد نقل الآلة الكاتبة إلى سيارتها مع الملفات التي طلبها إليوت، وبريد اليوم.

إنها المرة الأولى التي تلتقط كايسي فيها أنفاسها منذ تحدث إليها إليوت تليفونياً.

لا بد أنه مريض.. تملكها الذعر لهذه الفكرة ولكنها هدأت عندما حدثت نفسها بأن إليوت لا يمكن أن يكون مريضاً للغاية، وإلا لما أمرها بإحضار عمل يرغب في القيام به.

كانت السماء مثقلة بالسحب، لكن الثلج لم يتساقط بعد. وهكذا نبذت فكرة أن يكون الثلج أعاق إليوت عن الذهاب إلى المكتب. فلو أقفلت طريقه الثلوج، لما كان بإمكانها هي الذهاب إليه.

لم تعرف، في تلك الرحلة، لحظة من السلام، وعندما وقفت أمام المنزل، تمنت لو أنها تنازلت عن كبريائها وسألت سكرتيرة جوناثان ديفي عما كان يحدث بالضبط.

حملت الملفات وملف الرسائل فوقها، ثم صعدت الدرجات الحجرية ثم قامت بمناورات متعددة حتى تمكنت من تحرير أحد أصابعها فضغطت به جرس الباب.

فتحت الباب لها امرأة أنيقة، قائلة:

- لا بد أنك الآنسة بيترز.. ادخلي. أنا مدبرة المنزل.

دخلت كايسي وهي تعتذر قائلة:

- آسفة، لا أستطيع مصافحتك.

ثم ابتسمت من فوق كومة الملفات التي تحملها.

- قال السيد كوانتريل إن عليّ أن أرشدك إلى المكتب عندما

تصلين . . تفضلي من هنا .

كان قلب كايسي يخفق، وعندما فتحت مديرة المنزل باب المكتب رأت كايسي إليوت جالساً إلى مكتبه .

لم ينهض واقفاً عند دخولها، مع أنها لم تتوقع منه ذلك، إنما وجود تلك النظارات السوداء على عينيه هو ما أثار اهتمامها .

حتى الآن لم يكن قد ألقى حتى نظرة باتجاهها، وهذا ما جعلها تخفي اهتمامها فقالت :

ـ أظنني أحضرت معي كل شيء ما عدا حوض الغسيل في المطبخ .

قال بلهجة متوترة : «لقد تأخرت» .

بدأ اهتمامها به يتلاشى . أن يتهمها بالتأخر بعد كل تلك السرعة التي جاءت بها، يعني أنه ما زال ذلك الرئيس القاسي ذاته .

لاحظت فسحة على مكتبه . وبدون أن تتلفظ بكلمة، تقدمت من المكتب وأخذت تضع الملفات التي تحملها، ثم أخذت ملف الرسائل ووضعته على مساحة أخرى خالية، وعاد إليها اهتمامها به . كانت تعلم أن ثمة سوءاً لكنها لا تعرف ما هو . أحضرت كرسياً وضعته بجانب المكتب لكي يباشر العمل .

علمت من خبرتها أنه قد يقتلها لو تجرأت على سؤاله . . كانت تضع يدها على الكرسي لتجلس عندما جاءها الجواب، فجمدت في مكانها .

منذ متى يخلو مكتبه هكذا من الأوراق التي اعتاد أن ينشرها حوله؟

سيطر القلق عليها، فلم يكن إليوت ذلك الرجل الذي يجلس بكسل بدون عمل . العمل هو الأكل والشرب بالنسبة إليه، سواء أكان ذلك في المكتب أم في البيت . لا بد أن يجد شيئاً يقوم به، ومع ذلك ينتظرها منذ وقت طويل هادئاً ساكناً حتى بدون أن يرفع الغطاء عن

قلمه .

ـ هل ستقفين هكذا للزينة أم نبدأ العمل؟

لأول مرة، لم تهتم بتهكمه .

جرّت الكرسي إلى جانب مكتبه ثم جلست .

قالت بكل ما استطاعته من هدوء :

ـ أظنك تريد الاطلاع على هذه الرسائل أولاً .

عندما همت بمناولته الملف، تردد برهة ثم قال : «اقرئيها أنت وتصرفي بها بنفسك» .

هتفت تقول : «أنا؟» . . . بإمكانها أن تتصرف ببعض الرسائل، لكنها تعلم أن معالجة بعض الرسائل الأخرى مخاطرة كبيرة .

انفجر يقول بلهجة قانطة :

ـ تباً لك يا امرأة! لماذا أدفع لك أجرك؟

ـ إنك لا تدفع لي لكي أقرر أموراً قد تكلف الشركة ملايين، كأن أرد أو لا أرد بالإيجاب على رسالة اليوم من شركة «غريغ وباكس» .

نسيت كايسي قلقها وهي ترد عليه بعنف، ولكن صدرت عنه حركة غاضبة لأن مرفقه اصطدم بالملفات فوقع بعضها على الأرض، وتناثرت منها الأوراق على السجادة .

ساد صمت متوتر قررت أثناءه ألا تلتقط الأوراق تلك، واللعنة عليها إذا حاولت التقاطها . إنه هو الذي أوقعها وهو الملزم بجمعها، يكفي أن عليها إعادتها إلى ملفاتها وإعادة تنظيمها .

لكن غضبها لم يدم . بعد لحظات صمت طويلة، استعاد أثناءها سيطرته على أعصابه .

قال بهدوء : «التقطيه يا كايسي» .

كان حبها له هو ما جعلها تترك كرسيها ممتثلة لطلبه .

ظنت أنها استعادت هدوءها عندما أصبحت الملفات على المكتب

مرة أخرى في انتظار فرزها، فجأة انتبهت إلى أنه ذكر ملفاً واحداً بينما الذي سقط هو ملفات متعددة، إضافة إلى أنه طلب منها أن تقرأ الرسائل. فراحت ترهق عينيها في التحديق عبثاً إلى عينيه من خلف النظارات السوداء التي تغطيهما. بدا الشحوب البالغ على وجهه وهمست ذاهلة غير مصدقة:

ـ أنت لا... لا تستطيع أن ترى!

قال: «أنا...» ثم سكت غاضباً، ليعود فيقول وقد عاد القنوط الذي ظهر في صوته سابقاً:

ـ بما أنك عرفت الآن، يمكنك أن تقرئي إذن رسائلي.

لم تفعل بل شعرت بلهفة بالغة للذهاب إليه وإمساك يده، لكنها كبحت مشاعرها فهي تعلم أن إليوت سيرى حبها هذا مجرد عطف. إن كانت تعطف عليه فعلاً، فسيعتبر ذلك إهانة.

بقيت جالسة في كرسيها، لكنها لم تستطع محو بحة الألم من صوتها عندما استطاعت أن تسأله أخيراً:

ـ هل كنت.. كذلك.. منذ يوم السبت؟ أهذا هو ما دفعك للاتصال بي لتطلب مني إحضارك من المطار؟

بدا من ملامح إليوت الغاضبة أنه أكثر اهتماماً بالبدء بالعمل، منه بإجابتها على أسئلتها. وتوقعت منه ثورة غضب أخرى، ولكنه أجابها ساخراً:

ـ يبدو أننا لن ننجز شيئاً قبل أن أرضي لك فضولك. نعم، كنت هكذا منذ يوم الجمعة عندما أخذوني إلى المستشفى.

ـ كنت في المستشفى؟

قالت هذا وهي تشهق ذهولاً، ثم شعرت بالكره لنفسها لشعورها بالغيرة. لقد ظنت أنه أمضى الجمعة الماضية ليلة حمراء، تصورته في كل مكان ما عدا المستشفى.. الذي أمضى فيه الوقت كله..

ـ هل وقع لك حادث؟

أجاب بعد لحظة:

ـ نعم! حدث كل شيء بسرعة. كنت أتفرس مأخوذاً في جهاز معقد، وإذا بمادة كيماوية جديدة للتبريد تصدر بخاراً المفروض أن يكون غير خطر، لكنه كان كذلك. وما إن أصابت عينيّ حتى أخذتا في الوخز...

كانت معرفة كايسي بالهندسة قليلة، لكنها تكهنت بأنه إذا قطع معدن معدناً آخر بسرعة عالية، نشأ عن ذلك برودة. لكنها لم تهتم بذلك، لأن ضميرها أخذ يخزها وتذكرت أنها قالت له أن يرفع عن عينيه النظارات السوداء ليتمكن من رؤية طريقه. عذبها ضميرها وهي تتذكر كيف أنها أخذت تزمجر مستهترة، لتتركه بعد ذلك رجلاً أعمى... رجلاً تحبه من كل قلبها، رجلاً ستحميه كهرة متوحشة لو احتاج إليها...

تملكها الرعب من ألا تستطيع العيش بضمير مثقل.

قالت بسرعة:

ـ أما كان ينبغي لك البقاء في المستشفى؟

ـ عندما علمت أن علاجي الوحيد هو التقطير في عينيّ مرة كل أربع ساعات لعدة أيام أخرى، لم أجد سبباً يدفعني للبقاء.

ـ ألن تصبح... أعمى؟

ـ يا إلهي! أرجو ألا يحدث ذلك.

ـ لكنك... لم تستطع رؤية الملفات أو الأوراق التي تبعثرت على الأرض الآن.

قاطعها بحدة: «كفى. عندما أضع القطرة في عيني، لا أستطيع الرؤية، لكن هذا التأثير يتلاشى تدريجياً. وهكذا عندما يحين الموعد التالي لوضع القطرة، يكون معظم نظري قد عاد إليّ، وهذه النظارات

تستر اللون. إنني أراك الآن، يا آنسة بيترز، بشكل أوضح من لحظة قدومك. وهذا يعني أننا أمضينا نصف ساعة نتحدث في شيء ليس من اختصاصك. وبما أن لدينا أموراً أكثر أهمية، فاقرئي الرسالة القادمة من شركة «غريغ وباكس» وأخبريني عندما تصبح الساعة الثانية عشرة ظهراً».

شعرت بألم عميق لدى التفكير في أنه لا يستطيع معرفة الساعة، لكنها امتثلت لطلبه وأخذت تقرأ له الرسالة.

اكتشفت كيف يكون العمل مع رجل عديم الصبر ذي عاهة.. كان يصبّ غضبه على أقرب شخص منه لأنه غير قادر على القيام بالعمل بنفسه.

ذكرته بالوقت عند الثانية عشرة فأجابها:

ـ اذهبي وأخبري مدبرة المنزل عما تريدينه للغداء.

وقفت تنتظر أوامر أخرى، لكنها عندما رأته يخرج من جيبه قارورة صغيرة، أدركت أنه لا يريد منها أن تراه وهو يقطر في عينيه الدواء. وكان أن سارعت للخروج من الغرفة لترى مدبرة المنزل التي قالت لها: «سأحضر صينية غداء السيد كوانتريل حالاً».

قالت كايسي لتوفّر على المرأة مشقة إعداد المائدة:

ـ يمكنك أن تضعي غدائي في صينية، أنا أيضاً.

أجابت المرأة: «لقد أمر السيد كوانتريل بطعام يؤخذ إليه وحده ولست واثقة مما إذا كان يريد أحداً معه».

عادت كايسي إلى المكتب نادمة لأنها لم تدرك أن إليوت لا يستطيع تناول طعامه بنفسه ولذا لا يريد أن يتفرج عليه أحد.

نقطير الدواء يعمي بصره في البداية لكنه لا يردع لسانه اللاذع.

سألها فجأة أثناء إملائه عليها:

ـ هل تذكرت إحضار الآلة الكاتبة؟

ـ إنها في سيارتي. سأحضرها بسرعة...

قال آمراً:

ـ امكثي مكانك، فسأذهب أنا وأحضرها...

وسكت فجأة ثم قال لأنه أدرك أنه لن يستطيع الذهاب إلى أي مكان بدون عون من أحد.

ـ آه، يا إلهي!.

سارعت تقول: «ليست ثقيلة».

قال بضيق: «دعي هذا عنك، سأطلب من جو أن يحضرها».

أظهر إليوت بعد ذلك أسوأ طبع منذ عرفته.

وعندما جاءت مدبرة المنزل تستدعيها للغداء، سألت إليوت: «هل أعود الساعة الثانية؟»

ـ هل تحتاجين إلى ستين دقيقة كاملة لكي تأكلي؟ لقد تأخرت في الوصول إلى هنا هذا الصباح والواقع أنني لا أحتاج من يعملون وقتاً جزئياً.

قالت وهي تتذكر الأوقات التي كانت تعمل فيها بدون أن تجد فرصة للتنفس:

ـ أعذرني سيد كوانتريل، لكنك أسوأ مريض رأيته في حياتي.

قال مزمجراً: «لست عاجزاً يا آنسة بيترز».

ـ لهذا سأعود الواحدة والنصف.

مرت نصف ساعة وهي تفكر أن حياة إليوت انقلبت جحيماً، وعندما عادت إلى المكتب كانت مصممة على الصبر على استفزازاته مهما كانت.

ـ إذن فقد أحضر جو الآلة الكاتبة.

قالت ذلك بمرح وهي ترى الآلة على منضدة بجانب النافذة.

عندما باشرا العمل، رأته يبذل جهداً بالغاً للتغلب على الإحباط

الذي يتملكه. هكذا استمرا ساعتين في عمل متواصل وبانسجام شبه تام فهو لم يسخر منها كعادته.

شرعت بالطباعة وظهرها إليه، لكنها لم تستطع أن تعمل جيداً لأنه كان يقاطعها بأسئلته لعدم تمكنه من القراءة.

كانت الساعة حوالى الرابعة عندما أوقفها عن العمل مرة أخرى ليسألها عن أمر قامت به أثناء غيابه الخميس الماضي. أجابته دون أن تلتفت إليه، ثم عادت إلى الطباعة وإذا بها فجأة ترى الثلج يتساقط أمام النافذة.

هتفت تقول: «السماء تثلج».

ثم صعقت لأنها سمعته يقول:

ـ يمكنني أن أرى ذلك.

ارتدّت بسرعة لتنظر إليه، فإذا هو دون نظارات سوداء على عينيه، وهذا يعني أن وقت تقطير الدواء في عينيه قد حان، كما يعني أنه كان طول الوقت يراقبها بدون أن تعلم. ثم أبعدت الفكرة عن رأسها فلا تظنه يتعب نظره الغالي في تأملها، فقالت له:

ـ إذا كان يمكنك أن ترى الثلج، فهذا يعني أن وقت وضع القطرة قد حان.

وأثبتت الساعة كلامها إذ كانت تقترب من الرابعة. نهضت واقفة وهي تقول:

ـ يدي ملوثتان، سأذهب لأغسلهما.

منحته عشر دقائق كاملة لكي يقطر لعينيه على انفراد، لكنها كانت على أحر من الجمر للعودة، فما زال لديها كومة من الأوراق التي عليها أن تطبعها... ليتها تقول له بلباقة أن يدعها تقوم بعملها دون أن يقاطعها!

لكنها عندما عادت ورأته أعاد وضع نظارتيه هفا قلبها إليه متألماً.

بدأ القلق يساورها عندما أصبحت الساعة الخامسة إلا ربعاً، ونظرت مرة أخرى من النافذة، فإذا الثلج يتابع تساقطه.

تذكرت الشارع الضيق المقفر الذي يصل هذا المنزل بالشارع العام، وتملكها اليأس، وتصورت الوقت الفظيع الذي ستمضيه في ذلك الطريق قبل أن تصل إلى الطريق العام. فكرت في أن تطلب الخروج قبل انتهاء العمل نظراً لسوء الأحوال الجوية، دون أن تهتم بما قد يقوله لها عن الذين يعملون جزءاً من الوقت.

قالت على سبيل التجربة:

ـ الثلج يتساقط بكثرة.

أجاب بلهجة فظة: «ما أشد نشوتي!».

قالت ببرودة: «لا أفكر بالخروج معك للتزلج».

رباه! والتفتت تنظر إليه.. أعصابها المتوترة طبعاً هي التي جعلتها ترد عليه بتلك الحدة. توترت أعصابها أكثر فأكثر لأنها توقعت أن يرفض عندما تطلب منه السماح لها بالذهاب إلى بيتها قبل انتهاء الدوام.

قالت تعتذر: «أنا آسفة. كل ما في الأمر هو أنني أريد الذهاب الآن قبل أن تتراكم الثلوج على الطرقات، وإلا سيكون وصولي إلى بيتي هو الجحيم بعينه».

ـ الأفضل إذن أن تمضي الليلة هنا.

قالت وقد فوجئت: «أبقى...!»

ـ طبعاً، إذا أنهيت عملك...

ـ لم أنته بعد.

قالت ذلك وقد بدأت تشعر بالغيظ.

قال بنعومة: «إذن يجب أن تبقي».

عدّت كايسي للعشرة، ثم أضافت ثلاثة نظراً لوضعه، ثم قالت

بهدوء:

ـ لا أستطيع البقاء.

ـ لم لا؟

قال ذلك وقد تحولت نعومة لهجته إلى العداء.

ـ لأنني...

هي نفسها لم تكن واثقة من السبب. لقد أمضت وقتاً كافياً مسمّرة تحت وطء نظراته، وقد جعلها اليوم الذي أمضته في صحبته الفظة بحاجة ماسة للذهاب إلى بيتها لكي تتعافى من جرح مشاعرها.

ـ ثمة سبب وجيه، وهو أن ليس لديّ ملابس للنوم.

سألها: «أين هي المشكلة؟ أنا واثق من أن بإمكان مدبرة منزلي أن تعيرك شيئاً، إلا إذا كنت تريدين العودة إلى لندن لأن لديك موعداً هاماً».

أجابت بلهجة جافة:

ـ ليس لدي موعد هذه الليلة.

تساءلت عما يجعلها تتمنى صفعه مع أنها تحبه كل ذلك الحب وتمتلئ عطفاً عليه لمحنته هذه.

عادت تسأله: «وماذا عن فرشاة الأسنان؟».

ـ لدى مدبرة المنزل فرشاة جديدة.

سكتت كايسي وعادت إلى آلتها الكاتبة. علمت أن إليوت أدرك من عودتها إلى الطباعة أنها لن تعود إلى لندن تلك الليلة.

ومع ذلك، لم يمنعها هذا من الذهاب إلى الباب الخارجي لإلقاء نظرة على الطريق، وقد فعلت ذلك أثناء خروجها من المكتب لتناول الشاي الساعة الخامسة والنصف.

رأت العاصفة الثلجية ما زالت هائجة، وتساقط الثلج يتكاثف. كل هذا، إضافة إلى تراكم الثلج على الطرقات، أقنع كايسي أن من الحماقة

محاولة الذهاب إلى بيتها.

عندما عادت إلى المكتب، كان إليوت قد غادره.

في الساعة السابعة، كانت أنجزت كثيراً من الطباعة. إنه يوم مرهق، ولهذا لم تكن آسفة عندما جاءت مدبرة المنزل إليها، بإرشاد من إليوت، تخبرها بأن عليها التوقف عن العمل لهذه الليلة.

قالت المرأة: «يرى السيد كوانتريل أنك قد تحبين أن تري غرفتك قبل العشاء».

ذهبت كايسي مع المرأة إلى غرفة نوم رائعة الجمال وهناك أرتها قميص نوم وضعته تحت الوسائد، ثم طلبت منها ألا تتردد في طلب أي شيء آخر تحتاجه.

شكرتها كايسي باسمة: «أنا واثقة من أنك وضعت كل ما أحتاجه».

خرجت مدبرة المنزل بعدما أخبرتها بأن العشاء سيكون جاهزاً الساعة الثامنة.

لاحت ابتسامة على شفتي كايسي لأنها وجدت فرشاة أسنان ومعجوناً جديداً ملفوفين بورق «السيلوفان». وفكرت في أن نظر إليوت سينعدم حين يقطر العلاج في عينيه الساعة الثامنة، وهذا يعني أنها ستتناول العشاء وحدها.

بعد ذلك بساعة، وفي غرفة الطعام، عادت تشعر باللهفة والشوق إلى رؤية إليوت. تنهدت وهي تفكر في أنها لن تراه قبل الصباح. ما هو شعورها نحوه، هو الشخص المثير للجدل؟ كان في حالة نفسية سيئة للغاية هذا النهار، لكن لا عجب في ذلك وهو الإنسان المليء دوماً بالحيوية والنشاط. لا بد أنه لا يستطيع احتمال وضعه هذا.

أنهت كايسي عشاءها وغادرت غرفة الطعام متعهدة لنفسها بأن تصبر عليه غداً مهما كان طبعه سيئاً، فلن تدع أي شيء يغيظها ولن

www.elromancia.com

تتبادل معه الكلمات الجارحة، مهما بالغ في تهكمه وسخريته منها. كانت تتعهد بذلك وهي تمرّ بالردهة.

عندما مرت بباب كان مفتوحاً وقعت نظراتها فجأة عليه جالساً وفي يده كوب من الشاي. خفق قلبها لرؤيته، وترددت.

سأل بحدة مرهفاً أذنيه: «من هناك؟».

ـ هذا أنا... كايسي.

قالت ذلك ثم دخلت إلى غرفة الجلوس.

بدا على إليوت أنه لا يريد وجودها ولا صحبتها، فلم يقل شيئاً. وشعرت بحماقتها وأخذت تفكر في شيء تقوله، فلم تجد أحسن من أن تقول:

ـ لقد أنهيت عشائي لتوي، كنت أفكر في الصعود إلى غرفتي. تعلم أن مدبرة المنزل وجدت لي فرشاة أسنان...

ثم انتبهت إلى أنها تثرثر متوترة فقالت:

ـ حسناً، إذن... تصبح على خير يا إليوت.

وكادت تموت وهي ترى نفسها تنطق باسمه الأول.

كان جوابه أن رفع كأسه إلى فمه وكأنه يشير إلى عدم رغبته في رؤيتها قبل الصباح، فسارت كايسي نحو الباب ثم أغلقته خلفها وسارت في الممر... فجأة خطر لها أن الباب تُرك مفتوحاً لكي يمر منه.

عادت إلى الغرفة لكي تفتح الباب على اتساعه وتتركه كذلك لكنها لم تستطع مقاومة النظر إلى حيث يجلس. رأته يبدو وحيداً ساكناً.

ـ هل هناك ما يمكنني القيام به لأجلك قبل أن...

ـ ما الذي يدور في ذهنك؟

قال ذلك بصوت خشن غير ودود يبطن التهكم.

أجابت بهدوء: «لا شيء تحديداً، فكرت فقط في السؤال قبل أن

أذهب إلى سريري...»

قال بحدة: «بحق الله، اذهبي إلى سريرك واتركيني بسلام، فلا أريد أبداً أن تمثلي أمامي دور الممرضة».

ـ لم أكن...

حاولت أن تنكر ذلك بحرارة.

ـ ولا أن تضعيني في سريري وتغطيني جيداً لتقيني من البرد. كما أنني لا أريد أن أمنحك متعة رخيصة بجعلك تخلعين عني ثيابي.

ـ أخلع عنك ثيابك؟ أنت وغد حقاً. نمْ وتعفّن في ثيابك.

قالت ذلك بغضب بالغ وسارت إلى غرفتها، وهي تغلي بالكراهية لإليوت كوانتريل.

ولكن عندما صعدت أخيراً إلى سريرها، شعرت بالندم لردة فعلها على ما قال، فالغد لم يأت بعد وها هي تحنث بعهدها الذي قطعته على نفسها.

* * *

٧ ـ ضوء أسود

عندما استيقظت كايسي في صباح اليوم التالي، تذكرت كيف سمحت لإليوت بأن يجعلها تفقد أعصابها. أخذ ضميرها يعذبها فالمحنة الهائلة التي يعانيها تجربة مرّة، وأسرعت تغادر غرفتها لكي تصلح ما فعلت.

عندما نزلت لتتناول الفطور، كانت قد توصّلت إلى قرار. فمهما وجّه إليها من إهانات أو سخرية لكي يثيرها، لن تفقد أعصابها.

وهكذا، حالما أنهت إفطارها سارت إلى المكتب حيث تعلم أن إليوت سيكون في الانتظار.

أزاحت من ذهنها كل الأفكار المحزنة عما يمكن أن يكون عليه شعوره، وصممّت أن تبدو مرحة مشرقة ولو قتلها ذلك. وعندما رأت النظارات السوداء فوق عينيه علمت أن تقطير الدواء لم ينته.

حيته ببشاشة: «صباح الخير». ثم سارت متجهة إلى آلتها الكاتبة.

كان جوابه أن افتتح النهار قائلاً بلهجة لاذعة: «ماذا حدث لتلك السيئة الطبع التي لم تنتظر أن تسمع مني تحية المساء».

ها هي ذي كلماته السليطة مرة أخرى. لكنها تذكرت ما عاهدت عليه نفسها.

أجابت بوجه مشرق: «ظُرفك له تأثير عجيب».

اكتشفت أنها دمرت أية فرصة للتراجع، فما سمعته منه لا يعدو

صوتاً ساخراً وكأنه يكتم ضحكه، وربما كان يعبّر عن الاشمئزاز فهو ذو طبع لاذع.

كان كل شيء أفضل من تهكمه الثقيل. أوشكت أن تقول له إن مزاجه الشيطاني وكلماته السيئة جعلاها تسرع بالخروج قبل أن تسمع منه تحية المساء التي لم تتوقع أن تسمعها منه.

تابعت العمل على الآلة الكاتبة مبتدئة من حيث انتهت الليلة الماضية. لكنها، بعد عشر دقائق، تأكدت من أن إليوت قطر الدواء في عينيه ذلك الصباح إذ سألها عن رقم تليفون.

استدارت في كرسيها، فرأت أن دفتر التليفون على المكتب أمامه وكم غمرها الشعور بالعطف نحوه.

في الساعة التالية قاطعها مرات عديدة يسألها عن أرقام تليفونات، لكنها كانت مسرورة لتمكنها من كبح ضيقها.

لاحظت أن النبرة الفظة في صوته تبدّدت. كانت واثقة من أن لا أحد يعلم بما يعانيه. لم يقل قط لأحد، في التليفون، بأنه يتكلم من البيت وإنما من مكتبه كالعادة.

ثمة شيء آخر، وهو أنه نسي أن يكون غير مهذب معها. كانت تسرع نحوه دوماً بدفتر الملاحظات كلما رفع السماعة، وكانت تدوّن كل ما يكرره من أرقام أو غير ذلك، فيبالغ في شكرها.

في منتصف النهار تركت المكتب بلباقة لكي تسمح له بتقطير الدواء في عينيه. ها هو عملها يوشك على الانتهاء هنا، لكنها كانت تعلم أن العمل سيعود حالما ترجع إلى مكتبها في لندن كما كان. نظرت من النافذة إلى الخارج فرأت أن العاصفة برغم تراكم الثلوج قد انتهت.

كانت واثقة، وهي تعود إلى المكتب، من أن بإمكانها أن تذهب إلى مكتبها في الشركة بعد ظهر هذا اليوم بدون أي مشكلة شرط أن تسير بانزان.

قالت لإليوت بعد أن أمضت حوالى ربع ساعة تفرز فيها ما بقي من أوراق:

- هذا كل ما أحضرته معي.. سأبدأ بوضع هذه الملفات في سيارتي. إن...

- هل تفكرين في الذهاب إلى مكان ما؟

ابتلعت ريقها لأن نبرة صوته عادت إلى فظاظتها:

- ألا ترى أن عملي انتهى هنا؟ تنتظرني في المكتب أكوام من الأشياء عليّ القيام بها لو ذهبت الآن...

قال بحدة: «لن تذهبي إلى أي مكان».

- لم لا؟

سألته ذلك بمثل حدته قبل أن تتذكر عهدها.

قال بوقاحة: «لأنني أقول ذلك».

وكان في الواقع يعني أنها لا تستطيع الخروج.

أجابت: «أنا واثقة من أنني أستطيع..، لقد توقف الثلج عن التساقط وأنا واثقة من أنني...».

- هل رأيت الطريق الواقع بعد طريق البيت؟

- لا، ولكن...

- إنه مقفل.

قال ذلك بلهجة من يقفل الموضوع.

- وكيف...

ثم سكتت لأن إحساسها منعها من تذكير إليوت بأنه أعمى، فهي تعلم أنه يكره ذلك.

- كيف عرفت؟ قد أكون عديم القدرة مؤقتاً على تقويم الحالة شخصياً، لكن ضعف قدرتي على الرؤية لم يسلبني القدرة على الكلام مع بائع الحليب.

عندما كانت في فراشها، نزل إليوت المتململ القانط إلى الطابق السفلي باكراً فرأى بائع الحليب عند وصوله.

قالت برقة: «لكن الشمس أشرقت الآن. ربما حالة الطرق أفضل الآن مما كانت عند الصباح».

- إنها ليست كذلك، كما أن جو سيخبرني في اللحظة التي تتمكنين فيها من الذهاب.

جعلها حبها لإليوت أكثر رقة وحساسية بالنسبة إليه، ولكن عندما أشار إلى أنه متلهف لرحيلها وبانتظار كلمة من جو، شعرت أن عليها أن تثبت له أنها هي أكثر لهفة لذلك.

- وكيف وصل بائع الحليب إلى هنا؟

أجاب بغيظ: «كيف لي أن أعلم؟ لقد استعمل التليفون ثم ذهب. أعدي نفسك للبقاء ليلة أخرى هنا. هل المكان هنا فظيع إلى هذا الحد، مما يجعلك...؟».

علمت أن الفكرة التي خطرت على باله لن تعجبها.

تابع يقول بحدة: «أسأت الفهم، أليس كذلك؟ السبب الوحيد لإلحاحك هذا على الرحيل، ليس رغبتك بالنوم في سريرك في بيتك، بل لأن لديك موعداً مع أحد عشاقك الكثيرين..».

صرخت به: «كيف تجرؤ على هذا القول؟»

- ولماذا لا أجرؤ ما دامت هي الحقيقة؟

لم تعرف كيف استطاعت منع نفسها من صفعه.. تمنت لو تصفعه رغم نظارتيه السوداوين، لكنها لن تصفح عن نفسها قط إن لم تكبح غضبها الذي أثاره. ومع ذلك لم تستطع تحمل البقاء معه في الغرفة دقيقة أخرى.

قالت له بهدوء: «اذهب إلى الجحيم يا إليوت».

ثم غادرت الغرفة مع أن هناك خمساً وعشرين دقيقة على موعد

الغداء.

عندما حان موعد الغداء لم تجد مكاناً قريباً تستجمع فيه شتات نفسها، لكن كرامتها أبت عليها أن تظهر استياءها لإليوت. وهكذا ذهبت إلى غرفة الطعام رغم عدم شعورها بالجوع.

تناولت القليل من الطعام ثم صعدت إلى غرفتها وهناك راحت تفكر في ما جعل إليوت يكوّن عنها تلك الفكرة السيئة. شعرت بالسرور لأنها قالت له أن يذهب إلى الجحيم، فلا يحق لأي رجل أن يتكلم معها بهذا الشكل سواء أكان صديقاً أم عدواً، أم رئيسها في العمل.

لقد جرح قوله كرامتها، فكيف يسيء الظن بها إلى هذا الحد ولماذا؟

مرّ الوقت بدون أن تتحرك. وصلّت الساعة الثانية وهي ما زالت في غرفتها، لكن كرامتها تمنعها من الذهاب.

فكّرت أن ليس عليها أن تذهب، فإذا كان يريدها فليرسل إليها من يخبرها بذلك. كانت ممتلئة سخطاً، لكن ما إن أشارت عقارب ساعتها إلى الثالثة ولم يأتها خبر منه، حتى تملكها الشعور بالخزي من نفسها لأنها إزاء جرح كرامتها، نسيت المحنة الهائلة التي يعانيها حالياً.

تركت كايسي غرفتها متجهة إلى المكتب.

فتحت الباب بدون أن تزعج نفسها بقرعه، ثم دخلت. عند ذلك تلاشى تمردها، وشتتها الندم، إذ رأت إليوت جالساً إلى مكتبه بدون أثر لعمله الحبيب أمامه. كان يبدو سَئِماً في جلوسه هكذا، لا يفعل شيئاً سوى العبث بإبهاميه.

قالت بصوت هادىء بارد:

ـ خطر لي أنك قد تحتاج إلى أرقام تليفونية.

أجاب ببطء: «ما أحسن أن تتنازلي وتفكري في أن لديك وظيفة».

إذن فالعداء ما زال موجوداً؟ قالت متهكمة:

ـ العمل عندك متعة حقاً، يا سيد كوانتريل.

توقعت أن يثور غضباً، لكن الدهشة تملكتها وهي ترى شفتيه تلتويان بشبه ابتسامة وهو يسألها:

ـ هل أنا وغد حقاً؟

حبست أنفاسها، وشعرت أنها في دوامة. بعد ساعات وساعات تصرف فيها كالوغد كما وصفته مرتين، ها هي ترى منه ذلك الظرف وتلك الناحية الفكهة من نفسه، وهذا ما صدمها صدمة جميلة رائعة. أوشكت أن تقول له إنها لا تعتبره وغداً على الإطلاق، لكنها ما لبثت أن رأت في قولها هذا ما يعطيه انطباعاً بأنها مستعدة للصفح عمّا فعله. عندئذ فكرت بسرعة في شيء آخر تقوله.

سألته: «ألم تخرج من البيت على الإطلاق منذ جئت من سفرك يوم السبت؟».

أجاب وقد انبسطت ملامحه تقريباً:

ـ إلى أين أذهب من دون بكرة خيطان ترشدني إلى طريق العودة؟

ـ سأكون تلك البكرة إذا شئت.

ولكي تنقذ كبرياءه أضافت تقول:

ـ لم أكد أتحرك في اليومين الأخيرين، لذا أجدني بحاجة إلى السير قليلاً.

بدا الجمود على وجهه وتوقعت منه التهكم، لكنها دهشت وهو يقول بجفاء:

ـ دعيني من لاعبي التنس الذين لا يعرفون شيئاً عن المرح بين الثلوج.

هتفت تقول: «آه! لقد نسيت كل شيء عن الثلوج».

أجاب متمتماً: «أنت تدهشينني».

يشير بذلك إلى أن خصامهما قبل الغداء كان بسبب الثلوج.

شعرت بالضيق لتذكيره إياها بأنها غابت في فرصة الغداء أكثر من ساعتين فقالت مراوغة:

ـ عنيت أنني نسيت أن وهج الثلوج قد يضر بعينيك.

قال: «لا شيء يمكن أن يخترق هذه العدسات السوداء. لا بأس، سألبس جزمة وسنرى إن كانت مدبرة المنزل تستطيع تجهيزك بحذاءٍ مماثل».

غنّى قلب كايسي لكن القلق من أن يؤثر لمعان الثلوج في عينيه، جعلها تسأله:

ـ هل أنت واثق بشأن عينيك.. أعني، هل حذرك الطبيب...

ـ صدقي يا كايسي أنني اكتشفت منذ الحادث، مبلغ أهمية بصري لديّ. مهما كانت أوامر الأطباء مزعجة، لن أهمل شيئاً قد يمنعني من الشفاء الكامل.

ـ آه! ولكن هل قمت بالترتيبات اللازمة لرؤية اختصاصي عيون؟

أجاب بشبه ابتسامة جعلت قلبها يخفق:

ـ تسألين كثيراً. عندي موعد مع الاختصاصي غداً. هل يمكننا الذهاب الآن؟ إلا إذا كنت تريدين الاستمتاع بالإطلاع على تاريخي الطبي، وهو ليس طويلاً.

قالت بمرح: «نعم يا سيدي».

وعندما رأته يضحك، شعرت بروحها تنتعش وتحلق إلى السحاب.

لم تهتم كايسي بمعرفة كيف تبدو عليها الملابس الواسعة التي أعارتها إياها مدبرة المنزل، ذلك أن إليوت لا يستطيع رؤيتها. وبدا العالم لها رائعاً.

قالت له وهي تقوده من الباب إلى الخارج:

ـ أزيلت الثلوج عن الطريق. هل جو هو من فعل هذا؟

ـ نعم، إنه جو.

بعد ذلك بفترة قصيرة، التفّ حول زاوية المنزل، فهتفت تقول:

ـ ما أجمل هذا المكان!

وعندما أخذا يصعود طريق المنزل الذي لا يستطيع رؤيته، شرعت تصف له جمال الثلوج وأماكن تراكمها.

سارت متلمسة مواقع قدميها بحذر لم تعرفه من قبل، كما راقبت مواضع قدمي إليوت. أثناء ذلك كانت ترفع بصرها لتصف له المشاهد.

سارت معه إلى نهاية الطريق بعناية بالغة، وعندما وصلت به إلى أكبر ركام من الثلوج نظرت حولها لحظة، وإذا بها تجمد في مكانها، فالطريق العام خلف طريق المنزل كان خالياً من الثلوج!

وقفت فجأة وهي تهتف دهشة. أما إليوت فكان يسير نحو كومة الثلج، وجاءت النتيجة سقوطهما معاً فوقها.

شهقت قائلة بسرعة، متلوية تحت ثقل جسمه: «هل أنت بخير؟».

وعندما لم يجب، تملكها الذعر. ومدّت يديها ترفع وجهه من حيث كان مندساً بجانب عنقها.

ما إن أحس بيديها حتى رفع رأسه قائلاً:

ـ رائحتك جميلة.

عمتّ الراحة نفسها، لكن قوله هذا ذكرها بأهمية حاسة الشم وغيرها من الحواس في غياب حاسة النظر.

شعرت بمزيد من الراحة وهي ترى نظارتيه ما زالتا على عينيه فكررت سؤالها:

ـ هل أصابك ضرر؟

ـ ما وقعت أنا عليه، أكثر ليونة مما وقعت أنت عليه.

ـ ولكن هل أنت بخير؟

عادت تسأله وقد أدركت فجأة، وهي تهتز، أنه بشكل غريزي،

ربما بدافع الحماية، أخذها إليوت بين ذراعيه أثناء سقوطهما، وما زالت ذراعاه حولها:

ـ وماذا عنك أنت؟

ألقى عليها هذا السؤال وفي صوته نبرة لم تسمعها منه من قبل.

قالت متلعثمة: «أنا بخير».

شعرت بذراعيه تشتدان حولها، فخفق قلبها بسرعة... راح ينظر إلى وجهها بعينين لا تريان ثم شعرت بتوتر بالغ فيه انتقل إليها.

ـ هل... هل يمكنك الرؤية؟

وخوفاً من أن تفضحها عيناها أغمضتهما.

أحسّت بشيء يمسّ شفتيها برفق ولكنها لم نعرف ما إذا كانت قبلة خفيفة من إليوت، أم أنه فقط مسح ثلجاً عن شفتيها، أم أن الأمر بأجمعه مجرد تخيلات منها.

ابتعد عنها فجأة وهو يجيبها:

ـ أصبح بإمكاني الرؤية قليلاً، وهذا معناه أن وقت تقطير العلاج في عينيّ قد حان.

عندما عادا يقفان على أقدامهما، كان اهتمامها مركزاً على إليوت الذي يجب ألا يسقط مرة أخرى على الثلج حتى لو كان يرى قليلاً الآن. وقف بينما أخذت هي تنفض الثلج عنه.

قال فجأة: «يجب أن نعود إلى البيت».

أدارته بلباقة ليواجه الطريق الذي سيذهبان منه، ثم نظرت إلى ساعتها لتتأكد من وصولهما في الموعد المقرر لتقطير الدواء.

ساد بينهما أثناء العودة الصمت نفسه الذي ساد بينهما أثناء الذهاب.

ـ إننا نسير الآن في الطريق الذي جرف جو منه الثلج.

أرادت أن تقول له ذلك عندما اقتربا من المنزل وتذكرت ما كانت

تهم بقوله له قبل سقوطهما.

فقالت: «هذا يذكرني بأن الطريق العام بعد طريق الـ....».

فقاطعها إليوت: «لا أدري ما عسى أن تكون مدبرة المنزل أعدت لنا من طعام».

جاء صوته ساراً رقيقاً، فأنستها رقته الموضوع، فسألته:

ـ هل أنت جائع؟

ـ أكاد أموت جوعاً.

ازداد حبها له وهي تراه بمثل هذه المودة: «ربما بإمكان مدبرة المنزل أن تقدّم موعد العشاء قليلاً».

ـ ربما ستتعشين معي هذا المساء، يا آنسة بيترز.

ـ يسرني هذا كثيراً، يا سيد كوانتريل.

ذهبا إلى المطبخ حيث أخبر إليوت مدبرة بيته أنهما سيتناولان العشاء الساعة السابعة والنصف. بعد ذلك خلعت كايسي الملابس التي استعارتها، ثم صعدت إلى غرفتها وعيناها تتألقان. إليوت سيقطر العلاج في عينيه الساعة الثامنة. لكنه قبل ذلك بنصف ساعة سيتناول الطعام معها وستكون رؤيته كافية لذلك.

قبل أن يحين وقت نزولها للعشاء، فكرت في السبب الذي يجعلها تنام هنا أو حتى تبقى لتناول العشاء، ما دام الطريق العام خالياً من الثلج.

النزاهة تفرض عليها أن تذهب رأساً إلى إليوت لتخبره بأن الطريق أصبحت مفتوحة، لكن تلك النزاهة كانت تخترقها ذكرى سعادة عرفتها عندما عرفت الناحية الودود من شخصية إليوت.

إنها بحاجة إلى المزيد! تريد أن تحتفظ برنين ضحكته.. تريد أن تحاول حمله على الابتسام. رغم أنها لا تضمن عدم عودته إلى طبيعته القاسية المتوحشة التي تعرفها رأت أنها لا تستطيع الرحيل. كانت

تحبه، وتريد قضاء مزيدٍ من الساعات لترى إليوت المختلف عن ذلك الذي في مكتب الشركة.

لم تكن تشك في أنه سيستعيد شخصيته المنفعلة ومزاجه العكر حالما يعود إلى مكتبه في الشركة، سيعود ذلك الرئيس الكفوء الذي يزعق عالياً بأوامره منذ التاسعة حتى الخامسة.

تعلم أن إليوت سيتركها الساعة الثامنة لتقطير العلاج فقصدت غرفة الطعام الساعة السابعة والنصف بالضبط حيث وجدته قد سبقها إلى هناك.

ـ آسفة لجعلك تنتظر.

أخذ قلبها يخفق بجنون وهي تراه يقف وينحني لها، ولم يجلس إلا بعد جلوسها.

امتلأت غبطة وهي تراه ظريفاً مهذباً كما كان في المطبخ. كان مضيفاً ممتازاً مرحاً وكان أن أكلت كل ما قدمته إليها مدبرة المنزل بدون أن تعرف نوعه.

سألها إن كانت أسرتها تسكن في لندن، فخفق قلبها مرة أخرى لأنه يهتم بها كإنسان وليس كقطعة أثاث في المكتب.

أخبرته أن أمها وزوج أمها يعيشان في ضاحية ستراتفورد.

سألها: «هل والداك مطلّقان؟».

ـ توفي أبي في طفولتي. زوج أمي رجل طيب للغاية، وعندما وافقت أمي على الزواج به كنت مسرورة جداً.

ـ ألم تتزوجي أنت قط؟

فهتفت: «يا الله! لا طبعاً. لماذا تسأل؟».

أحوالها الشخصية مسجلة في ملفها في مكتب شؤون الموظفين. أتراه يظنها معلومات مزورة؟

أجاب: «إنه سؤال طبيعي. فجمالك يجتذب كثيراً من المعجبين،

ولا بد أن أحدهم طلبك للزواج. أترى مهنتك شغلتك عن الزواج، أم لعلك لم تقابلي الرجل المناسب بعد؟».

تحوّلت بسرعة تغير الموضوع، فسألته:

ـ وهل سبق لك أنت الزواج؟

أجابها بشبه ابتسامة:

ـ ما رأيته من زيجات كثيرة يجعلني لا أحسد المتزوجين.

ـ أنت تسخر.

قالت له ذلك بمرح، وكاد يغمى عليها سروراً عندما ضحك. أرادت أن تعلم إن كانت لانا نيزوم مطلقة، لكنها رأت أن هذا الحديث سيتحول إلى حقل ألغام إن لم تكن حذرة.

أنقذت مدبرة المنزل الموقف بدخولها لترفع أطباق الطعام ولوضع أطباق الحلوى. أخذت كايسي تفتش عن موضوع لا علاقة له بالزواج، أو بالأحرى بالنساء اللاتي أحبهن، لكن الموضوع الوحيد الذي خطر في ذهنها هو كيف جُرفت عن الطريق العام الثلوج. وعندما خرجت المرأة، وجدت كايسي نفسها تخوض في موضوع لم تكن تريده... وهو شؤون العمل.

ثم ظهر اسم سيسيل غلوڤر مقترناً بموضوعٍ ما، فسألته فجأة:

ـ لقد قدم بي شكوى إليك، أليس كذلك؟

لكنها سرعان ما ندمت على سؤالها هذا، فعلى إليوت بصفته رئيس المؤسسة أن يصدق أية ملاحظة يقدمها أحد المدراء عن سكرتيرته. وها هي تفسد بسؤالها هذا أجواء المودة مع إليوت الذي تغيرت ملامحه فجأة، لكنه لم يعبس.

قال بهدوء: «نعم، لقد قدم شكوى بك».

ـ ولكن.. لكنك لم تخبرني.. أعني لم تسألني عن ذلك.

ـ لا تخطئي يا كايسي.. إن سيسيل غلوڤر رجل ممتاز في عمله.

لقد عرفته واشتغلت معه سنوات، ووجدته نابغة في عمله، لكن هذا لا يعني أنني أتجاهل أخطاءه، فبعض مزاياه لا تعجبني. أفضل الفتاة الصهباء التي لم تتردد في أن تقول له أن يحتفظ بيديه لنفسه.

ابتسم إليوت وهو يقول هذا، فخفق قلبها فرحاً.

لم يجد إليوت من الضروري أن يسألها عن هذه القضية، أو يوبخها لأنها جرحت أحد مديريه. كادت تغلبها المشاعر، لكنها خافت أن يكشف جوابها مشاعرها الدفينة نحوه.

حوّلت عينيها عنه. وفجأة شعرت بالحاجة إلى الانفراد بنفسها لتستعيد توازنها مرة أخرى فنظرت إلى ساعتها. ثم أسرعت بالنهوض وكانت تأمل أن يفهم انصرافها كلباقة. هكذا تسمح له أن يقطر الدواء في عينيه.

قالت: «الساعة تجاوزت الثامنة». ثم خرجت من غرفة الطعام بسرعة.

بعد ذلك بسرعة، كانت تطفو فوق السحاب. إليوت معجب بها، قال هذا بنفسه! أعجب بما قالته لسيسيل غلوفر على الأقل.

لشدة شعورها بالسعادة، أخذت تقاوم رغبة قوية تدفعها للعودة إلى الطابق السفلي والجلوس معه.

لا بد أنه أنهى تقطير الدواء الآن، وهذا يعني أن إرهاق حواسه الأخرى قد يجعله يشعر بما تحس به نحوه.

وهكذا قررت البقاء في غرفتها وتغيير ملابسها واللجوء إلى فراشها.

خلعت كايسي حذاءها وجوربيها، ثم فكت أزرار أكمام قميصها. كانت تفك أزرار القميص لكي تخلعه، عندما سمعت صوت تهشم مخيف في الغرفة المجاورة.

إليوت! طرد الخوف عليه كل فكرة من رأسها، ودفعتها غريزتها

كالبرق من غرفتها. فكل ما تعرفه هو أن إليوت وقع له أمر مزعج.. وسرعان ما أصبحت في غرفته.

التقطت أنفاسها وهي تراه سالماً، يرفع وجهه إليها من حيث كان منحنياً بجانب المكتب الأثري.

ـ سأساعدك.

قالت ذلك وهي تتقدم نحوه تساعده في رفع مصباح نحاسي ثقيل، ومجموعة من المجلدات الضخمة وأوراق متنوعة كانت متناثرة على الأرض.

أخذ يتمتم قائلاً:

ـ حدث ذلك عندما مددت يدي لأضيء المصباح وأنا شارد الذهن.

تناولت كايسي المصباح من بين يديه وقد هدأت خفقات قلبها لأنها رأته سالماً.

ـ لم ينكسر شيء. لكنني أعتقد أن زجاج المصباح قد تهشم.

قالت ذلك بمرح تخفي به قلقها لأن إليوت رفع النظارات السوداء عن عينيه. ربما كان يحتاج إلى شيء من الضوء في ظلمته الدامسة.

انحنت تساعده في التقاط كتب أخرى. كان الضوء الوحيد في الغرفة ينبعث من مصباح مظلل بجانب السرير. لا شك أنه أصيب بالغثيان من هذه النظارات السوداء.

وضعت آخر كتاب مكانه على المكتب، لكنها لم تشأ العودة إلى غرفتها قبل أن تطمئن إلى أنه أصبح يعرف طريقه. ترددت شاعرة نحوه بالحب البالغ، ومرت الثواني وإليوت واقف وكأنه ينظر إليها. كانت تفكر: أحبك يا حبيبي، لكنك لن تعلم أبداً.

ارتدّت تبغي مغادرة الغرفة، خائفة أن تلقي عليه تحية المساء فتخونها مشاعرها، لكن يدي إليوت امتدتا إليها. عند ذلك التهب حبها... لا يستطيع تمالك نفسه ولا معرفة أين هو واقف. إليوت،

إليوت الغالي ذو الكبرياء يناشدها بصمت أن تدله على الاتجاه الصحيح.

إستدارت إليه ومدت ذراعيها، وما إن تلامست أيديهما حتى جذبها إليه.

قال برقة: «كايسي».

سواء أكان يشكرها على تفهمها، أم يعني أي شيء آخر، لم تستطع منع نفسها من التلفظ باسمه.

همست تقول: «إليوت».

وفي اللحظة التالية كانت بين ذراعيه. عندما شعرت بعناقه زالت غيوم ذلك النهار كلها، لكن الأمر لم ينته عند هذا الحد.

عانقها مرة بعد مرة.

تنهدت قائلة: «إليوت».

لم تشعر بأي خجل وهو يضمها إليه، تملكتها مشاعر عاصفة، وتشبثت بيديه بعنف وراحت تهتف باسمه.

تمتم هامساً: «معبودتي كايسي».

ـ عانقني.

ابتعد قليلاً ينظر إليها وكأن بإمكانه رؤيتها: «نارك تماثل ناري، يا حبيبتي».

شعرت كايسي أنها في الجنة وهي تسمع منه هذه الكلمة، بينما عيناه اللتان لا تريان تنتقلان على جسدها.

قال: «إنك رائعة الجمال يا كايسي... وجهك رائع، وكذلك جسدك».

وإذا بغريزتها تستيقظ فجأة فتمد يديها تغلق بهما قميصها وقالت بصوت متهدج:

ـ هل.. هل بإمكانك أن تراني؟

قطب حاجبيه بحيرة لسماع هذا السؤال، وقال:

ـ طبعاً بإمكاني أن أراك.

توردت وجنتاها فجأة لشدة الحياء والارتباك، فهي غير محتشمة أمام رجل لأول مرة في حياتها مما جعل النار التي أشعلها فيها تخمد.

ابتعدت عنه وهي تضم قميصها إلى صدرها.

ـ ولكن.. قطرة عينيك..؟

قال ذاهلاً يردد كلامها بخشونة:

ـ قطرة عيني؟ لقد انتهت فترة العلاج الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم.

زاد ارتباكها وتغير مزاجه هو أيضاً...

تملك الغضب البالغ إليوت وهو الرجل المتكبّر، وصرخ بها قائلاً:

ـ رباه.. الشفقة.. سمحتِ لي بأن أعانقك بدافع الشفقة إذن؟

ـ لا.

أنكرت ذلك بدون أن تدرك أنه ربما كان من الأفضل لو قالت نعم.

ـ تباً لوقاحتك وعدم حيائك.

وتقدم نحوها، فتراجعت خائفة.

أرعد قائلاً: «اذهبي! اغربي عن نظري».

واندفع هائجاً نحو الباب وفتحه على اتساعه، فأصيبت بالذهول لأنها لم تره قط بمثل هذه الثورة.. ذهبت إلى الباب ولكنه لم يكن انتهى بعد، إذ بقيت كلماته القاسية تنهال على رأسها:

ـ تذكري في المستقبل أن أي شيء أريده، يمكنني الحصول عليه بدون أن أتخذ من العمى عذراً لجرّ امرأة إلى فراشي.

وقفت بالباب وقد ابتدأت مشاعرها المخدرة تعود إلى الحياة، وشعرت بالألم وبجرح الكرامة.

قبل أن تفتح فمها لتتكلم، قال لها بفظاظة:

ـ كما عليك أن تتذكري أن ليس لديّ نيّة على الإطلاق بأن أدفع لك أجراً لأي شيء عدا أعمال السكرتارية.

فتحت فاها ذاهلة لهذه الإهانة، وفي اللحظة التالية اندفعت ترد عليه بغضب بالغ:

ـ لماذا هذا...

ولكن إليوت أخرسها بصفق الباب في وجهها.

***

٨ ـ تعرفين طريق الخروج

استقلت سيارتها مع بزوغ الفجر متجهة إلى لندن، لكن الرجل الذي شغل أفكارها طوال ليلة لم تعرف فيها عيناها النوم، ما زال يشغل أفكارها... كانت قد صممت على مغادرة منزله منذ طردها من غرفته وصفق الباب في وجهها، فلشدّ ما كرهته حينذاك!

تماماً كما كرهها هو، حسب افتراضها، لاعتقاده بأنها تجاوبت معه بدافع الشفقة، بينما لا علاقة للشفقة بمشاعرها نحوه منذ البداية. لكنها الآن رأت أن كرامتها هي في أن تدعه يعتقد ما يريد. لن تدعه يعلم أبداً بحبها له.

هل من الممكن لامرأة تشفق عليه إلى هذا الحد، أن تختفي من بيته بدون كلمة؟

ما من امرأة تطرد من غرفة رجل، مستعدة عندما تراه مرة أخرى، للتصرف وكأن شيئاً لم يحدث. ليس بهذه السرعة على كل حال.

كانت اقتربت من بيتها حين تذكرت تلك الملفات والآلة الكاتبة التي أخذتها إلى منزل إليوت. ربما هذا يعني أن الوقت حان لأن تفترق ليس عن إليوت فقط بل عن الشركة بأكملها.

وفي شقتها، اغتسلت وهي تفكر في أنها لن تذهب إلى المكتب هذا النهار، ولا في أي نهار بعده.

www.elromancia.com

لكن حبها لإليوت سرعان ما أعطاها أعذاراً تتعارض والمنطق. فالأعمال ستتراكم، مع أن تقرير اختصاصي العيون سيكون جيداً، فإن على إليوت أن يريح عينيه فترة من الزمن.

لم تتوقع أن تراه في المكتب هذا النهار، ولا كانت هي أيضاً مستعدة لرؤيته بعد كل ما حدث بينهما.

لم تره ذلك النهار، لكنها سمعت صوته. وصلت إلى عملها متأخرة، وما إن جلست أمام الآلة الكاتبة حتى اتصل إليوت تليفونياً.

أدركت كايسي ما ينتظرها منذ اللحظة التي قالت فيها (سكرتيرة السيد كوانتريل)، فسمعت صوته الجاف البارد يقاطعها قائلاً بصوت ينضح بالعداء:

ـ أي شيء في البريد عليّ أن أطلع عليه؟

استطاعت بصعوبة أن تتلو عليه تفاصيل البريد، وما إن أكملت مهمتها حتى أقفل الخط في وجهها.

كان ذلك الصباح أتعس ما مرّ عليها في حياتها. خرجت لتناول الغداء وما زالت نفسيتها محطمة، وعندما عادت وجدت أن شخصاً ما أحضر أثناء غيابها ليس فقط آلتها الكاتبة وإنما كل الملفات التي تركتها في منزل إليوت.

استنتجت أن إليوت قد تلقى تقريراً حسناً عن عينيه. ولا بد أنه الآن في مكان ما في الشركة هنا. ولكنها غير مستعدة لمواجهته، وتملكها التوتر والضيق.

حالما حلّت الساعة الثالثة بدون أن يبدو له أثر، استرخت قليلاً.. اتصلت تليفونياً بمكتب الاستقبال تسألهم إن كانوا يعلمون شيئاً عن الملفات المرتجعة. ثم انتظرت الموظف ليرد عليها، وشعرت بالراحة وهي ترى أنه حتى في أحلك الظروف، هناك بصيص من نور. أخبرها الموظف أن الملفات أحضرها جو.

لم يظهر إليوت يوم الخميس ولا يوم الجمعة، فانهارت معنوياتها أكثر من أي وقت مضى.. كان اهتمامها كله لأجله، وعندما جاء يوم الأحد، كانت قد استجمعت شتات نفسها فأصبحت في حالة حسنة.

ـ هل حدث لك شيء يا عزيزتي؟

ألقت أمها عليها هذا السؤال عندما اتصلت بها تليفونياً.

ـ لا شيء على الإطلاق.

قالت كايسي هذا كاذبة، مع أنها في أمسّ الحاجة إلى الإفضاء بما تشعر به من خوف على بصر إليوت، لكنها لم تستطع قول كلمة واحدة.

ـ هل أنت واثقة؟ يبدو صوتك فاتراً على غير عادته.

ـ أنا بأحسن حال، صدقيني.

أجابت كايسي بذلك وهي تحاول جاهدة إبداء الحرارة في صوتها، لكن هذا التكلف تلاشى حال انتهاء المخابرة، وعادت تدعو الله أن ينقذ بصر إليوت.

ذهبت إلى المكتب صباح الاثنين فوجدته جالساً إلى مكتبه، والنظارات السوداء لم يعد لها وجود. جعلها الفرح تبتسم ابتسامة عريضة، لكن ملامحه حين رفع نظره، لم يبدُ عليها الترحيب.

ابتلعت ابتسامتها لتحيّيه بهدوء:

ـ صباح الخير.

أجاب بخشونة: «صباح الخير».

عرفت كايسي من هذا أن الأسبوع القادم سيكون.. جافاً.

وكان بالغ الجفاف، والواقع أنها تساءلت مرات عدة أثناء الأسبوع: هل حقاً حدث بينهما، ذات مرة، ما حدث؟ إذ لم تصدر منه كلمة فقط، ولا نظرة أو أي شيء في سلوكه ما يدل على أنه يتذكر أنه رغب فيها ذات مرة.

صحيح أنها رفعت عينيها إليه مرة أو مرتين فوجدته ينظر إليها، لكن ملامحه كانت تبرد حين يرى أنها لاحظت نظراته تلك وهذا يدل بوضوح إلى أنه لا يرغب فيها أبدا.

تابعت عملها، وكانت واعية طوال الوقت إلى أنه ما يزال غاضباً مجروح الكرامة لجرأتها على الشفقة عليه. أرادت أن تعلم ما قاله اختصاصي العيون له، لكن الحاجز الثلجي الصلب الذي بينهما منعها من سؤاله.. لقد جرحته مرة في هذا الموضوع، وهو الآن أصبح محرماً عليها.

حينما حلّ عصر يوم الجمعة، كانت قد بلغت قمة الإرهاق الجسدي والنفسي. لم تشك كايسي قط في أن تقرير الاختصاصي كان جيداً بسبب الطريقة التي شغل إليوت بها نفسه وشغلها معه هذا الأسبوع، وهذا ما يؤكد أن عينيه شفيتا تماماً.

عندما عاد من اجتماع. فكرت في أنها، هي وليس هو، من سيعود إلى البيت متعب العينين. طلب منها، بدون أن ينظر إليها، أن تحضر الأوراق التي كانت تطبعها، إلى مكتبه. وما إن وقفت على قدميها حاملة الأوراق حتى رن جرس التليفون، فصرخ بها من داخل مكتبه:

ـ ردي أولاً على التليفون.

تناولت السماعة وذكرت اسمها، وإذا بالدهشة والقلق يتملكانها لأنها سمعت صوت زوج أمها، وهو الذي يترك عادة الاتصال بها لأمها.

قال لها يطمئنها: «أمك ذهبت إلى الحلاق».

ـ هل حدث شيء ما؟

ـ لم يحدث لنا شيء. إننا سعيدان كالعادة.. المسألة يا كايسي هي أن أمك أمضت الأسبوع قلقة عليك، فهي تظنك غير سعيدة.

ـ ولكنني...

قاطعها وقد أدرك ما ستقوله:

ـ ولهذا السبب أريد منك أن تأتي إلينا هذه العطلة الأسبوعية لتراك.

لم تزرهما منذ العيد، لذا شعرت بالندم لتقصيرها هذا. فقالت بمرح:

ـ سأحضر إليكما طبعاً.

ـ هذا جميل، ستبقين معنا طوال العطلة. هذا ما نريده أنا وأمك.

لأنها شعرت بفروغ صبر إليوت، قالت بسرعة:

ـ لا شيء أحب إليّ من قضاء العطلة...

انقطع حديثها فجأة عندما دخل إليوت يختطف من يدها الأوراق وقد استبد به الغضب، ورمقها بنظرة عدائية قبل أن يعود إلى مكتبه صافقاً الباب خلفه.

تنهدت كايسي، وشعرت بعدم الرغبة في اللحاق به إلى المكتب. كانت السماعة في يدها تذكرها بأن وليام ما زال على الخط.

ـ سأكون عندكم غداً.

ثم أقفلت الخط.

سبق أن رأت إليوت سيء المزاج من قبل، ولكن ما رأته منه عندما دخلت المكتب، فاق كل حد.

ذهبت إلى بلدة «ويلزينغهام» حيث تعيش أمها وزوجها اللذان غمراها بالحب والعطف والترحيب، وهذا ما أشعرها بأنها غير مستعدة للتعامل مع إليوت مهما كانت طباعه.

بدأت العاصفة منذ اللحظة التي تجاهل فيها تحيتها الباردة، وبدون منحها الوقت الكافي لوضع حقيبة يدها، أخذ يصدر إليها أوامره.

عندما حلّ يوم الأربعاء، أخذت كايسي تتساءل عما يجعلها تصبر عليه، وبعد ثانيتين فقط، أدركت السبب.. وهو أنها تحب هذا الوغد السيء الطباع.

في عطلتها الأسبوعية، قالت لها أمها:

ـ لقد أدركني القلق عليك بعد آخر اتصال تليفوني يا كايسي. ظننتك غير سعيدة. أدرك الآن من كلامك عن عملك، أنك مرهقة أكثر منك غير سعيدة. هل أنت واثقة من أن العمل ليس كثيراً عليك؟

أتراه يكوّم العمل عليها ليرى كم تستطيع الاحتمال قبل أن تنهار؟

في منتصف يوم الخميس، لم يمنعها سوى كرامتها من الذهاب إليه لتخبره بأنه يحتاج ليس إلى سكرتيرة واحدة بل إلى ست سكرتيرات.

كانت واقفة إلى جانب خزانة الملفات عندما دخلت لانا نيزوم تسير الهوينا، فشعرت كايسي بطعنة غيرة مؤلمة أنستها سوء خلق إليوت.

كان إليوت غارقاً في العمل. فعدا العمل العادي في المكتب، كان عليه أن ينجز كل الأعمال المعلقة وذلك قبل سفره القريب إلى كندا بعد أسبوع. تذكرت تعليماته الماضية بإدخال هذه الشقراء حال وصولها وبدون موعد سابق، لهذا لم تتحرك عندما تقدمت المرأة شامخة برأسها متجهة إلى باب مكتبه.

هذا الموقف السلبي لم يعجب الشقراء السيئة الطباع. كانت في منتصف الطريق نحو الباب عندما توقفت عن السير، والتفتت نحو كايسي رافعة حاجبيها المزجّجين كخط القلم.

ثم سألتها بلهجة لاذعة: «ألا تريدين أن تري بطاقة الموعد؟».

الشيطان الذي تملك كايسي مرة من قبل عاد إليها فجأة. لم تكن تريد أن تدع لانا نيزوم تؤثر فيها بسلوكها المتعجرف، لكن ذلك الشيطان رفض أن يدعها تخضع لغطرسة تلك المرأة المهينة.

قالت لها بلهجة ممطوطة، وهي تشير لها بقفا يدها إلى باب مكتب إليوت:

ـ خذي حريتك.

سرعان ما أدركت كايسي أنه كان من الحكمة ألا تثير غضبها، إذ سرعان ما تغيرت ملامح لانا نيزوم وتملكها الغضب، والتوت شفتاها المصبوغتين بإفراط... قالت بلؤم:

ـ أيتها الطابعة العديمة الشأن! ألا تعرفين من تكلمين؟

اهتزت كايسي للغضب البالغ الذي بدا على الوجه المصبوغ بإفراط، لكنها شعرت بأنها لا تستطيع التراجع واكتشفت أنها هي أيضاً متعجرفة.

ألقت نظرة احتقار على الشقراء، وأجابت:

ـ أنا لست واثقة مما... قد تكونينه.

تغلبت الصدمة الآن على الارتجاف لأن سيلاً من الشتائم انهال فوق رأسها، لم تستطع سوى التحديق برعب وبعدم تصديق بسبب النعوت البذيئة التي أمطرتها المرأة عليها بلغة سافلة.

لم تكن لانا نيزوم قد انتهت بعد، عندما خرج إليوت من مكتبه منزعجاً. كان واضحاً أنه لن يسمح بأمر كهذا في هذا المكان.

نقل نظراته بين المرأتين فرأى وجه كايسي المصعوق، أما الشقراء فقطعت وابل الشتائم لكي تقول شاكية:

ـ إليوت، هذه...

قبض على ذراع لانا نيزوم بيد حازمة، ثم دفعها بغلظة نحو الباب الخارجي في مكتبه:

ـ أخرجي بلغتك السافلة القذرة من مكتبي.

كان عدم اهتمامها بطردها، واضحاً من النعوت التي نعتته بها قبل مغادرتها المكان. آخر كلمة تلفظت بها قبل أن يغلق الباب خلفها، كانت:

ـ... ستعود إليّ فقط لأن سكرتيرتك العذراء التافهة لن تدعك تمسها.

التهب وجه كايسي التي أدارت وجهها عن الباب محاولة العودة إلى عملها المعتاد. . كانت تمدّ يداً مرتجفة إلى الملف، عندما عاد إليوت يمرّ بجانبها نحو باب مكتبه. لكنه توقف فجأة، ثم قال معتذراً بعبوس:

ـ آسف لما حدث.

كانت تعلم أن الذنب في ما حدث كان ذنبها هي لأنها استفزت الشقراء. وأرادت أن تخبره بذلك، لكنه تقدم نحوها خطوة ليتفحص وجهها الملتهب، وكان لسانها قد التصق بحلقها. ثم أخذ قلبها يخفق بعنف، لأن إليوت ضاعف من تحديقه إلى وجهها المتورد، وكأنه عاد بذاكرته إلى الوراء لتستقر على آخر شيء قالته لانا نيزوم. خفضت كايسي بصرها بسرعة.

قال بانزعاج: «إنك لست. . .».

عرفت من لهجته وذهوله أن ما أدركه قد صعقه.

هتف قائلاً غير مصدق:

ـ أنت. . . لا يمكن أن تكوني!

لم يكن لديها نية في مجادلته. فاستدارت تفتح درج الملفات، دون أن تتذكر أي ملف تريد.

امتدت يده تقفل الدرج. . ولكن لدى إليوت، كما تعلم، عقل يريد أن يعلم كيف يعمل كل شيء ولم يكن يحب الغموض. عرفت أنه مصمم على أن يعلم أدق التفاصيل عما يحيّره. أمسك ذراعيها برفق ثم أدارها لتواجهه.

حاولت أن تتجنب النظر في عينيه، لكنها وجدت نفسها مرغمة على ذلك حين أمسك برأسها يديره نحوه.

كانت ملامحه جادة، ولكنه سبّب الحيرة لها تماماً عندما سألها:

ـ هل لك أن تخبريني أين أمضيت عطلة الأسبوع الأخيرة؟

قالت بحدة: مع أن هذا ليس من شأنك، إلا أنني سأخبرك ما دمت

تسألني، ذهبت إلى «ويلزنغهام».

ـ «ويلزنغهام»؟ هل هي البلدة التي تعيش فيها أسرتك؟

ـ نعم.

ـ ومن هو وليام؟

ـ إنه زوج أمي الذي اتصل بي الجمعة الماضية يدعوني إلى قضاء العطلة عندهم لأن. . .

سكتت وتملكها الارتباك عندما تغيرت ملامح إليوت فجأة، وبدت على وجهه ابتسامة رقيقة. ثم قال بحنان فائق:

ـ آه! يا كايسي. . يا فتاتي كايسي. يا لك من عذراء خجول. . . هذا ما كان عليه شعورك تلك الليلة عندما أدركت أنني لست أعمى عن رؤية جسدك الجميل. . .

تخلصت منه وقد تملكها الخوف من أن تقول كلمة يفهم منها أن تجاوبها معه تلك الليلة لم يكن بداعي الشفقة بل الحب.

قالت تتعمّد الاهتمام بالعمل:

ـ وهكذا، بعد أن انكشف سرّي، هذا هو ملف «جاكسون هاربرز والآن أين. . .

بدون أن يتكلم، تقدم إليوت منها يأخذها بين ذراعيه.

تنهدت في داخلها، فما أجمل هذا الشعور بالراحة والأمان معه بعد أن بقي الأسبوع بطوله يتصرف معها كحيوان متوحش! وعندما عانقها كان هذا أمراً لا تشعر بالحاجة إليه أثناء هذا الصراع الداخلي بين مشاعرها.

خشية أن يكشف ضعفها عن شعورها نحوه. دفعته عنها بعيداً، وقالت بعدم اهتمام:

ـ هل هذا العناق مكافأة لي لأنني فتاة طيبة؟

بدا لها من تصلب نظرته أنه لا يهتم بسخريتها هذه وقال:

ـ ما زالت الذكرى قريبة حين أوشكت على الحصول على أكثر من هذا.

ثم تركها متجهاً إلى مكتبه.

اشتعل غضبها وشعورها بكرامتها المجروحة وهو يشير إلى تلك الليلة بلامبالاة. وصرخت في أثره تقول:

ـ هذه هي نتيجة العمل كسكرتيرة شخصية.

لكن انصفاق الباب في وجهها كان جوابه الوحيد لها.

خرجت لتناول الغداء وهي تتمتم: تباً له وتباً للعمل.

تركت مكتبها الساعة الواحدة إلا ربعاً، وعادت بعد ذلك بساعة، لكنها لم تكن في حالة ذهنية أفضل ولم يكن إليوت قد عاد بعد من الغداء، ولكنها تمنت لو أنه لا يعود مطلقاً هذا النهار.

في تمام الساعة الثانية تماماً، دخل المكتب وتوجه إلى مكتبه الخاص بدون نظرة منه إليها أو كلمة.

ومع مرور الوقت، كاد صبر كايسي ينفد. كانت أوامر إليوت تتتابع بفظاظة، وكانت تستجيب له بأجوبة مختصرة للغاية.

الساعة الخامسة بالضبط، غطت آلتها الكاتبة ثم ذهبت إلى بيتها بدون أن تحييه.

عندما عادت بأفكارها إلى أحداث اليوم، أدركت أنها كانت مجنونة لأنها تصورت أنه قد يبدر عنه رقة نحوها أو ملاطفة..

عند الصباح، كانت كايسي تشعر بالسرور لقرب سفر إليوت إلى كندا. إنها بحاجة إلى أربعة أسابيع لا ترى فيها إليوت فبذلك تقدر أن تستجمع شتات نفسها مرة أخرى، وعند عودته تكون على أتم استعداد للتصرف كسكرتيرة له بعيداً عن أية علاقة حميمة.

وفيما كانت في الطريق إلى العمل تساءلت عما يجعلها تنتظر عودته من رحلته لكي تبدأ مشروعها هذا، وإن كان هذا لا يعني أن ما

يدور في المكتب هو شيء غير العمل... ثم تذكرت أمس.

حسناً، إنها واثقة من شيء واحد وهو أنه لن يدور حديث آخر عن كونها عذراء. لقد خضعت لفضول إليوت وهو يسألها أين أمضت عطلتها الأسبوعية، وكأنه يريد أن يتأكد من شرفها. من الواضح أنه حين سمعها يوم الجمعة تحدث وليام بأنها ستذهب إليهم لقضاء العطلة، ظن أن وليام هو عشيقها.

وهكذا قررت ألا تعطي إليوت فرصة بعد الآن ينصت فيها إلى مخابراتها التليفونية. فإذا اتصل بها أي من أصدقائها، ستخبره بأن الوقت غير مناسب للحديث، وأن يعود للاتصال بها في بيتها مساءً.

دخلت مكتبها فوجدت إليوت في عمله، وبما أن السخرية ستكون جواب تحيتها له، فقد وفرت عليه وعلى نفسها ذلك، وجلست إلى عملها اليومي من دون كلام.

احتفظت كايسي بمظهرها المتحفظ طوال مدة إملائه الرسائل عليها، وعندما كانت تناديه (حضرة السيد كوانتريل)، كانت ترى النظرة الساخطة التي يرمقها بها.

كانت تلك النظرة كافية لكي تفهم منها أن طبعه لا يحتاج إلى سوى شرارة لكي يلتهب.

لكنها ستثابر على ما صممت عليه أي أن تكون مجرد سكرتيرة عادية.

كان هذا هو المفروض، ولكنها لم تحسب حساب الظروف عندما أخذا يراجعان، فيما بعد، منهاج رحلته إلى كندا.

بالنظر إلى البرنامج، علمت أنه سيعود بعد أن ينجز كل ما سيذهب لأجله. وهو سيذهب من هناك إلى نيويورك لحضور مؤتمر. لقد أنساها اهتمامها برحلته هذه ما صممت عليه من أنها لن تتحدث إليه إلا عندما يتحدث إليها أولاً.

حنثت بيمينها بأنها لن تتحدث أولاً عندما قالت:

ـ سيكون لديك الكثير من الأعمال الكتابية. هل لديك من يساعدك عليها هناك؟

أجاب بلوم: «إن كنت تلمحين بذلك إلى رغبتك في أن تذهبي معي إلى كندا، فانسي هذا».

قالت غاضبة متخلية عن تحفظها إزاء إجحافه بحقها:

ـ لم أكن ألمّح إلى أي شيء كهذا.

طعنها ظنه هذا في كبريائها وهي التي كانت تعلم مسبقاً أنه سيرحل وحده.

قال بحدة بدون أن يحاول تهدئة الوضع:

ـ أنا مسرور لسماع هذا، فأنت بعيداً عن هذا المكتب لا تسببين سوى الإزعاج.

قالت متحدية: «كيف أفعل هذا؟».

لكنها قبل أن تقول ذلك، علمت أنه سيلقي اللوم عليها بالنسبة إلى افتتان غيڤين ايتكين بها، ثم نسيان إليوت عهده بألا يتخذ سكرتيرة في مكتبه.

حملقت فيه بتمرّد، وفجأة رن التليفون.

مدّ يده إليه بغضب، نافد الصبر:

ـ كوانتريل.

بدا عليه وكأنه يريد أن يلقي بالسماعة بعنف، لكنه بدلاً من ذلك ناولها إياها.

ـ مرحباً يا كايسي، إنه أنا ڤنسنت.

جعلها صوته الحزين تقول:

ـ مرحباً. هل كل شيء على ما يرام؟

ـ ليس هناك ما هو أسوأ، لقد قدمت جولي طلب الطلاق.

قالت برقة: «أواه يا ڤنسنت».

لكنها سرعان ما انتبهت إلى أن إليوت ينظر إليها بغيظ.

علمت أن ڤنسنت يريد أن يتحدث إليها عن أحزانه. ولكن إن لم تضع حداً سريعاً لهذه المخابرة، فصبر إليوت سينفد.

قالت: «اسمع يا ڤنسنت، إنني مشغولة حالياً، ولكن...».

تنهد قائلاً: «نعم، أنا متفهم. هل يمكنك أن تقابليني بعد العمل؟ يمكننا أن نتناول شراباً في مقهى «ذي بيل» ونتحدث عن كل شيء».

علمت كايسي أن (كل شيء) يعني ساعة أو أكثر من الحديث عن مشاكله، وإذ رأت إليوت وكأنه موشك على ضرب التليفون، تابعت تقول بسرعة:

ـ سأراك الساعة السادسة.

وضعت السماعة، فقال إليوت بحدة:

ـ ها نحن نعرف الآن أنك لا تقنعين بملاحقة العازبين لك، فتواعدين المتزوجين غير المخلصين بدون تردد.

تمالكت أعصابها بجهد، لكن ما دام إليوت ينتظر جوابها، قالت له:

ـ لمعلوماتك الخاصة، ڤنسنت في طريقه للطلاق.

كانت علاقتها بڤنسنت دوماً مثار غضب إليوت البالغ، وهذا ما جعله ينفجر الآن قائلاً:

ـ يا إلهي! هل تفكرين في أن تكوني زوجته الثانية؟

أجابت بحدة غاضبة لصراخه:

ـ مثل هذه الأفكار مستحيلة حتى الآن.

سألها ثائراً: «هل تحبينه؟».

أوشكت، غريزياً، أن تقول لا، لكن كبرياءها جعلتها تشعر أن ليس من المهم أن تذكر من تحب، طالما إليوت لا يعلم أنه هو مالك قلبها.

الغريب أنها، عندما أوشكت على القول إنها تحب ڤنسنت، وجدت أن حبها هو شيء لا ينبغي عليها أن تكذب بشأنه، لذا لم تستطع أن تجيب فحاولت تغيير الموضوع.

سألته: «هل نتابع عملنا؟».

- ربما تفضلين العمل مع رجل مطلق. ربما وصلنا أخيراً إلى السبب الحقيقي الذي جعلك تتركين مخدومك السابق.. الرجل المتزوج.

- لا أفهمك. فأنت تعلم سبب..

قاطعها ساخراً:

- الارتقاء في العمل؟ السبب الوحيد الذي جعلك تتركين جينر هو وقوعك في غرامه، وهو المتزوج. وحين علمت أنه يحبك شعرت بأن فضيلتك، القديمة الطراز، مهددة.

لم يكن ڤنسنت يحبها لكن لا أهمية لذلك. لقد صوّر إليوت الفضيلة وكأنها خطيئة.. لقد جرحت كرامتها وهي ترى أنه يمكنه أن يجعل اكتشافه أنها عذراء، إهانة لها.

ردت عليه بحدة:

- ربما أنت على صواب.

اعترافها بأنها كذبت أثناء المواجهة وأنها، في الواقع، تركت شركتها القديمة لأنها تحب رئيسها، ذلك لم يخفف من غضبه، فقال هادراً وقد تجهمت ملامحه:

- ستعودين الآن ربما إلى العمل عنده بعد أن قرر ترك زوجته!

اعتصرت يد ثلجية قلب كايسي، لكنها لم تستطع أن تمنع نفسها من أن تجيب، رغم علمها بأنها تسيء إلى نفسها:

- أي شيء هو أفضل من البقاء عندك.

لقد تجاوزت الحد، إذ اكتسى وجهه بقناع من الصوّان وشعرت

بصدمة، فحاولت جهدها إخفاء ذلك.

بصوت كالثلج، قال إليوت:

- أنا لا أقف في طريقك، وأظنك تعرفين طريق الخروج...

نظرت كايسي إليه ذاهلة، عيناها الخضراوان متسعتان... كانت مصعوقة، مجروحة، ذليلة، ولكنها استطاعت ان تستجمع ما بقي لها من كرامة، وخرجت من مكتبه رافعة الرأس. وقفت عند مكتبها تتناول حقيبة يدها، ثم خرجت من المكتب، ومن المؤسسة، ومن الوظيفة...

* * *

www.elromancia.com

٩ ـ ومن يريدكِ؟

لا تتذكر كايسي كيف عادت إلى بيتها ذلك اليوم. لكنها في الصباح التالي، أخذت تراجع كل شيء مرة بعد أخرى، ذكرياتها تخترقها التمنيات. ليتها... ليتها فقط بقيت صامتة.. ليتها رفضت الانجرار...

دارت في أنحاء شقتها دون هدف. أفكارها تدور حول إليوت وكيف أنه لم يعد لديها مكتب تذهب إليه صباح الاثنين. لن تشعر بعد الآن بتلك الهزة في مشاعرها لرؤية إليوت. وكم شعرت بالفتور وضياع الهدف لأنها أدركت أن طريقيهما لن يلتقيا بعد الآن مرة أخرى.

يا ليت ڤنسنت لم يتصل تليفونياً بها! ولكنها عادت ففكرت في أن إليوت كان متعطشاً للشجار حتى قبل أن يتصل ڤنسنت. لم تكن تعرف ما الذي يجري في ذهن إليوت. أتراه ندم على طرده لانا نيزوم من مكتبه أول أمس؟ أتراه كان يلومها لخسارته صديقته تلك؟

تحولت أفكارها فجأة عن إليوت وصديقاته لتفكر كيف أغفلت موعد أمس مساءً مع ڤنسنت. لم يكن لديها مزاج يساعدها على الجلوس والاستماع إلى ڤنسنت يعرض مشاكله عليها، برغم أنها عادت فسمعتها منه حين اتصلت به من بيتها تليفونياً لتلغي الموعد. قبل ڤنسنت اعتذارها ولكنه تابع كلامه مفرغاً كل مصائبه:

ـ عندما عادت جولي ظنتها تريد أن تمحو الماضي لتبدأ من

جديد.

ـ لكنها... لم تفعل؟

ـ عادت هذه المرة لتجمع بقية حاجياتها ولتخبرني أية قطعة من الأثاث تريد أن تأخذها من بيتنا.

شعرت كايسي بالرثاء له لأنها لم تستطع أن تساعده ولكنها تعلم أن جراح القلب لا يشفيها سوى صاحبه.

قالت له بعطف: «أنا آسفة لأجلك».

ـ تلقيت هذا الصباح رسالة من محاميها.

ثم تذكر أن لديه عملاً عليه أن يقوم به، فقال لها:

ـ هل تمانعين في أن أتصل بك من وقت لآخر؟

ـ طبعاً لا أمانع، إنما لا تتصل بي إلى المكتب، إذ غالباً ما أكون مشغولة جداً.

ابتعدت عن التليفون وهي تعلم بالضبط لماذا لم تذكر له أنها تركت عملها. أولاً، لأن الأمر كان مبكراً لنسيان الصدمة والإذلال وجرح الكرامة. ثانياً، لأن ڤنسنت سيعرض عليها العودة للعمل في شركته، بينما كايسي، بعد أن عملت مع رجل مثل إليوت، لا تستطيع العودة للعمل مع ڤنسنت.

اتصلت بها أمها نهار الأحد فتعمدت كايسي جعل صوتها مرحاً خالياً من الهم، لكنها لم تنطق بكلمة عن طردها من العمل.

بعد أكثر العطلات الأسبوعية التي عرفتها وحشة وشعوراً بالوحدة، جاء يوم الاثنين... فأدركت كايسي أنها، لكي تأكل، عليها أن تبحث عن عمل، لكنها، لسبب ما، لم تجد لديها العزيمة لذلك.

يوم الاثنين، بدأ التعقل يحفزها... التعقل، والسخط. من يظن كوانتريل نفسه على كل حال؟ ستخرج الآن، في هذه اللحظة، وتشتري صحيفة تبحث فيها عن عمل.

كانت تتساءل أين عسى أن تجد عملاً مثيراً كعملها مع إليوت عندما رن التليفون. . . سارت إليه ورفعت السماعة.

سمعت صوتاً خشناً عدوانياً لا يمكن أن تخطئه أذناها:

ـ ألم تنزلي من عليائك بعد؟

خفق قلبها بسرعة فقالت وهي تجلس على أقرب كرسي:

ـ أنا. . . لا أفهمك.

أجاب بحدة:

ـ هذا بالضبط سبب اتصالي بك. إنني بحاجة إلى سكرتيرة، وهي أنت، حتى إشعار آخر. هيا، استقلي سيارتك و. . .

قاطعته ساخطة وهي تتذكر ليالي وأيام اليأس والوحشة التي مرّت بها، وأنها هذا الصباح فقط ابتدأت تستجمع شتات نفسها:

ـ سيارتي لن تذهب إلى أيّ مكان، وأنا أيضاً.

ـ لا تكوني عنيدة.

قالت غاضبة:

ـ لا تشتمني، لم يعد يحق لك أن تأمرني منذ طردتني من العمل الجمعة الماضية.

قال: «أنا. . .» ثم سكت.

بدا أنه فقد فظاظته. . . انتظرت منه أن يتابع كلامه، وقلبها يخفق، لكنها ما لبثت أن تمنت لو أنها لم تنتظر، لأنه لم يفقد فظاظته بل صبره، إذ قال أقسى كلمات يمكن أن تقال:

ـ ومن يريدك؟

ثم أقفل التليفون في وجهها بعنف.

نسيت ذلك اليوم نيتها في البحث عن وظيفة. . . قبل أن يتصل بها إليوت، كانت قد أوهمت نفسها أنها بدأت تجمع شتات نفسها، ثم جاءها اتصاله بها وقوله إنها ما زالت سكرتيرته، فشعرت بأن في ذلك

شفاءها من المذلة التي عانت منها، لكن هذا لم يمنع النزيف في داخلها بسبب آخر جملة نطق بها.

يوم الجمعة استعادت سيطرتها على نفسها، واقتنعت بأن ما حدث ربما هو الأفضل. . وأن من الأفضل أن يحدث الآن مهما كان شوقها لرؤيته بالغاً، فعليها أن تكون قوية صوناً لقواها العقلية، لكن كلماته الأخيرة القاسية ما زالت تؤلمها، فقد قال بكل وضوح إنه لا يريدها على الإطلاق. على كل حال، سيرحل إلى كندا غداً. قالت في نفسها إنها قد تجد من يريدها، وأخذت تبحث عن عمل في صفحة الإعلانات.

ومرّت عطلة موحشة أخرى وكانت قد وجدت وظيفتين، فعقدت العزم على لملمة خيوط حياتها. لقد أهملت نادي التنس مؤخراً، لكنها لم تشعر بالحماس للذهاب إليه، ثم عادت فوعدت نفسها بالذهاب إليه يوم الثلاثاء. ستعود إلى الفتاة التي كانتها قبل أن تقع في مصيبة حبها لإليوت.

يوم الأربعاء تلقت اتصالاً تليفونياً من إحدى الشركات، تطلبها للمواجهة في اليوم التالي، وافقت على ذلك وهي تفكر في أن شركة «بريغز ومورتيمر» التي استدعتها بحاجة عاجلة إلى سكرتيرة.

كان ظنها في محله عندما عرضت عليها الشركة الوظيفة بعد المواجهة، على أن تبدأ الاثنين.

ـ الاثنين؟

ألقت هذا السؤال وهي تعلم أنها، في أعماقها، لا تريد أن تعمل في شركة «بريغز ومورتيمر».

أجاب السيد راسل: «اضطرت سكرتيرتي إلى ترك العمل بسبب ظروف منزلية قاهرة. . . هل يمكنك البدء بالعمل الاثنين؟»

ـ نعم، طبعاً.

ـ هذا حسن. سأراك يوم الاثنين إذن.

ثم رافقها إلى الباب باسماً، طالباً منها إحضار شهادة نهاية الخدمة من رئيسها السابق، قائلاً:

ـ بدونها، ستجدين أنك تدفعين ضريبة طارئة.

لم تكن كايسي فكرت في هذه الشهادة. وتعجبت لماذا لم تفكر «مؤسسة كوانتريل» في هذا، أتراهم أرسلوها إليها بالبريد وستصل هذا الصباح؟

لكنها في الصباح التالي، لم تجد شيئاً في البريد. حوالى الساعة الحادية عشرة، قررت الاتصال بمكتب شؤون المستخدمين في الشركة.

ـ أنا كايسي بيترز يا سيد أوينز. أتصل لأطلب إرسال شهادة نهاية الخدمة.

ردّد كلامها بعجب:

ـ شهادة نهاية الخدمة؟

ـ سأبدأ وظيفتي الجديدة يوم الاثنين.

ـ وهل ستتركين العمل عندنا؟

ـ لقد تركته، وأنا أتصل بك من البيت، لكنني...

هتف يقول: «تركت العمل؟ ولكن... لم يخبرني أحد.. متى تركت؟ لم أتلق تعليمات من السيد كوانتريل».

قالت بلهجة مترددة، متمنية لو أنها لم تتصل:

ـ لا بد أنه نسي...

قاطعها: «هذه ليست عادته».

وكانت هي تعلم ذلك.

ـ كانت... لدينا مشكلات علينا أن ننهيها قبل سفره إلى كندا. وأظن أمراً بسيطاً كهذا شرد من ذهنه.

لم يبد عليه الاقتناع، لكنه طمأنها بأنه سينظر في الأمر. وضعت

التليفون حائرة، لماذا لم يخبر إليوت السيد أوينز بأمرها؟ لماذا لم يخبر مكتب شؤون الموظفين بإحضار سكرتيرة لأجله يجدها عند عودته، كما فعل عند رحلته الأولى إلى كندا؟

بعد ساعة، اتصل بها السيد أوينز ليسألها إن كانا، هي والسيد كوانتريل، قد افترقا بشكل ودّي. ولأن كرامتها منعتها من أن تخبره كيف حصل هذا فقالت:

ـ لقد اتصل بي السيد كوانتريل ليطلب مني العودة للمساعدة، بعد أن تركت العمل.

ـ هذا يبعث على الراحة.

ثم أخذ يشرح لها مدى صعوبة العثور على السكرتيرة الملائمة التي يمكن أن تحل مكانها. وطلب إليها أن تحضر لإنجاز المعاملات إلى حين عودة السيد كوانتريل من رحلته.

أجابت على الفور:

ـ لا، لا أستطيع. آسفة يا سيد أوينز، لقد...

قال متوسلاً: «سيكون هذا لفترة قصيرة فقط. العمل يتراكم في انتظار عودته، والله يعلم ما إذا كان السيد كوانتريل سيستطيع النوم إذا جاء وأخذ في تصريف كل ذلك العمل».

ـ أنا واثقة من أنك تستطيع إحضار أحد من المكاتب الأخرى للقيام بالعمل. من الذي قام بتصريف العمل عندما سافر آخر مرة؟

ـ إحدى السكرتيرات التي أقسمت على ألا تتطوع لهذا العمل مرة أخرى، لأنها أخذت إجازة مرضية قبل ابتدائك العمل عندنا بيومين. أنا أبحث عن شخص يستطيع القيام بهذا العمل بدون أن يصاب بانهيار عصبي. ليس هناك غيرك يا كايسي. فقد تعودت على الطريقة التي يعمل بها السيد كوانتريل، كما أصبحت متآلفة مع مرضه الحالي.

سألته بسرعة وقد تملكها الخوف:

www.elromancia.com

ـ مرضه؟

ـ حسناً... ليس مرضاً بالضبط. لكنني، طوال السنوات التي أمضيتها هنا، لم أره يأخذ هذا العدد من أيام العطل التي لا علاقة لها بالعمل أو الإجازات. لا بد أن مرض عينيه الذي أبقاه قعيد البيت أسبوعاً كاملاً، قد أصبح خطيراً.

قالت له بحذر، فهي تعلم عن مرض عيني إليوت أكثر مما يعلم هو:

ـ لم أكن أعلم أن شخصاً آخر يعرف هذا.

ـ لقد أسرّ إليّ السيد ديفي بهذا، لكن كل ما نعلمه هو أن السيد كوانتريل قد يعاوده المرض.

تبددت الآن مقاومتها ورفضها العودة إلى هذا العمل.

أضاف يقول: «يمكنك فقط أن تتصوري الضغط المرهق الذي سيلحق بعينيه إذا كان عليه بعد عودته أن يسهر على إنجاز ما تراكم من عمل إلى ساعات متأخرة من الليل».

وضعت السماعة وهي تتمنى، بعد فوات الأوان، لو أنها جازفت بحياتها وسألت إليوت عن نتيجة زيارته لإخصائي العيون. فالخوف من أن يعود إلى عالم الظلام جعلها تعده بالعودة إلى «مؤسسة كوانتريل» يوم الاثنين.

ثم تذكرت أن عليها أن تتصل بالسيد راسل لتخبره بتغيير رأيها بشأن العمل في شركتهم.. كرهت القيام بذلك ولكن بما أن السيد راسل كان مستعجلاً فهو لن ينتظرها حتى تنتهي من العمل مع شركة كوانتريل. وهكذا تناولت سماعة التليفون.

أمضت كايسي طوال عطلة الأسبوع تتساءل عما إذا تصرفت بحماقة بالغة. لقد أخبرها إليوت كم هو عزيز عليه بصره، فهل من المعقول أن يقدم على هذه المغامرة مهما كان مقدار العمل الذي ينتظره؟

عادت إلى مكتبها القديم يوم الاثنين، ووعدتهم بالعمل ثلاثة أسابيع فقط، حتى لا تكون موجودة عندما يعود إليوت.

دخلت لتجد أن السيد أوينز قد نظم أوقات موظفيه فوضع لها مساعدة تتعلم منها العمل، حتى إذا ذهبت هي، تعمل هذه في المكتب حتى تتيسر لهم سكرتيرة دائمة لإليوت.

كانت مساعدتها «جيل تيرنر» شابة لطيفة متزوجة حديثاً، وليس لديها طموح في عملها. ولهذا، في نهاية اليوم الأول من عملها مع كايسي، أخذت نفساً عميقاً وهي تهتف:

ـ النجدة، إذا كان هذا النهار عيّنة من الحياة في القمّة، فليحتفظوا إذن بالقمم لأنفسهم.

ـ لقد شعرت بنفس الشيء في اليوم الأول لعملي مع السيد كوانتريل.. ستجدين العمل سهلاً فيما بعد.

لم تكن تريد منها أن تذهب إلى مكتب شؤون الموظفين حال مجيئها إلى العمل في الصباح لتطلب منهم أن ينقلوها.

ـ أتظنين ذلك؟ عليّ أن أتعلم أشياء كثيرة لأن السيد أوينز قال إنك ستمكثين معي ثلاثة أسابيع فقط.

أجابتها كايسي بثقة:

ـ سننهي كل شيء، وسرعان ما تستمتعين بالعمل.

لم يبد الاقتناع على «جيل» لكنها كانت فتاة مرحة... في اليوم الثاني عادت إلى المكتب فشعرت كايسي بالراحة، وبعد عدة تأوهات لرداءة الجوّ، قالت:

ـ حسناً، والآن، وسط كل هذه الأشياء المعقدة، من أين تريدينني أن أبدأ؟

كانتا ذاهبتين إلى البيت نهار الجمعة، عندما وقفت جيل عند الباب تنوء بحملها مما تسوقته أثناء فرصة الغداء، ثم التفتت إلى كايسي

تتهمها:

- كذبت عليّ.

- متى فعلت هذا؟

- قلت إنه سيصبح سهلاً، ولكن هذا لم يحدث. تصبحين على خير.

ضحكت كايسي وخرجت من المكتب فاصطدمت بجوناثان ديفي الذي اغتنم الفرصة ليسألها عن الإشاعة القائلة إنها ستترك العمل.

قالت متجنبة جواباً مباشراً:

- قبل إليوت استقالتي منذ فترة.

- كان يثني على عملك كثيراً.

- أنا أستمتع بعملي.

قال بابتسامة ظريفة:

- هكذا إذن، ما رأيك لو تناولنا العشاء ذات مساء؟ قد نستطيع التحدث عما حدث بينك وبين إليوت. ربما بإمكاننا...

- سيد ديفي، يجب أن تعلم أنني موظفة بصفة سكرتيرة شخصية وأمينة سرّ أيضاً.

أجاب بمرح: «أنا واثق من أننا سنجد موضوعاً آخر نتحدث فيه».

- وأنا واثقة من أن بإمكانك ذلك.

قالت ذلك وتركته وهو يرجو أن يعاود المحاولة مرة أخرى.

في منتصف الأسبوع الثاني، كانت كايسي وجيل قد قسمتا العمل بينهما. كايسي تقوم بمعظم أعمال الطباعة، بينما جيل تجيب عن أية أسئلة ترد إلى المكتب، وما لا تفهمه تحوله إليها، كما تولت جيل الرد على الهاتف.

يوم الخميس، وفيما كانت جيل عند طبيب الأسنان، رن جرس التليفون فرفعت كايسي السماعة، وفجأة أخذ قلبها يخفق بسرعة.

قال إليوت بخشونة:

- وأخيراً! سيسيل...

قاطعته كايسي متلعثمة:

- أنا... ليس... السيد غلوفر ليس هنا حالياً.

بدا لها من الصمت الذي ساد أن إليوت يوشك أن يطبق السماء على الأرض. ولكن، ويا للدهشة! عاد صوته بعد طول صمت، خالياً من كل خشونة وعداء، بل كان هناك نبرة حارة في لهجته وهو يقول:

- هذه مفاجأة.. ظننتك عدت إلى شركة ڤنسنت.

احتبس صوتها لهذه الحرارة غير المنتظرة في صوته... هذه الحرارة التي تنبئ أنه لم يغضب لوجودها في مكتبه.

- لا، لم أفعل.

- إذن فقد عدت للعمل عندي.

قال هذا بصوت ينبئ بأنه يبتسم. أما هي فاهتزت أطرافها ووهنت وهذا ما دفعها للجلوس:

- حسناً، ليس تماماً. لقد طلب مني السيد أوينز أن أدرب الفتاة التي ستبقى في المكتب ريثما يجد السكرتيرة الملائمة لك.

أدركت كايسي، وهي تشعر بكل هذه الحرارة والدماثة منه، أنه لو طلب منها أن تبقى سكرتيرته الآن، لما وجدت القوة على الرفض.

ولكنه لم يطلب شيئاً كهذا، وبدلاً من ذلك، وتلك الابتسامة ما زالت في صوته، قال:

- أما أنت فلم يدربك أحد يا كايسي.

أجابت: «ذلك لن يستغرق وقتاً طويلاً».

ثم تذكرت كلماته (ومن يريدك) المؤلمة، فتغير صوتها إلى البرودة وقالت:

- السيدة جيل تيرنر غاية في الكفاءة. سأبقى معها أسبوعاً آخر،

وبعد ذلك يمكنها العمل وحدها.

لم يكن إليوت، كما بدا، مهتماً بكفاءة السيدة تيرنر. لكن صلابة واضحة بدت في موقفه عندما سألها فجأة:

ـ هل تنوين العودة إلى شركة ڤنسنت جنر إذن؟

ـ هذا... ممكن.

قالت ذلك كاذبة وهي تتلهف إلى سماعه يحدثها بحرارة مرة أخرى.

لكن الدماثة السابقة لم تعد، بل عاد إلى شخصية إليوت القديمة عندما سألها بتهكم واضح:

ـ حياتك العاطفية بخير، أليس كذلك؟

ردت عليه بمثل كلامه:

ـ إنها مزدهرة كل الازدهار. وماذا عنك أنت؟

أجاب بما جعلها تتمنى لو أنها لم تسأله:

ـ إنها تحرمني من النوم.

ثم أقفل الخط.

أمضت كايسي العشر دقائق التالية في غرفة المعاطف تستعيد كل كلمة قالها، وتحاول استعادة اتزانها النفسي. وكم كرهت نفسها لأنها كلمته بذاك البرود، فهذا ما جعل صوت إليوت يفقد حرارته.

في البداية، بدا مسروراً لسماع صوتها، مثلها حين سمعت صوته. إنها واثقة من ذلك.. ليتها لم تكن غبية وتتذكر ما كان قاله! يا ليتها..!.

توقفت كايسي عن التفكير، ثم أخذت تحدث نفسها بأن إليوت لم يشعر بالسرور عندما علم أنها في مكتبه إلا لأنه يعلم أنها الوحيدة التي تعرف كيف تدير المكتب أثناء غيابه. ثم فكرت في أن صوته كان يحتوي على حرارة. ولكن هل كانت الحرارة تلك من وحي مخيلتها

لأنها تريد ذلك؟

بعد عودتها إلى مكتبها بخمس دقائق، تذكرت فجأة ما أذهلها. لقد أقفل إليوت الخط بدون أن يخبرها بالسبب الذي جعله يتصل بالمؤسسة.

ما هذه عادته! إنه ليس من ذلك النوع الذي يضيّع وقته الثمين باتصالات تليفونية غير ضرورية. فهي معتادة على تسلم الرسائل السرية منه أو أي شيء يريد أن تبلغه لسيسيل غلوڤر!

مرت الدقائق وهي تتأمل... لماذا، عندما تنسى هي كل شيء عند سماعها صوته، ينسى إليوت هو أيضاً؟ نعم فرغم ذاكرته القوية نسي ما اتصل لأجله عند سماعه صوتها؟

وعندما ظهرت لها أخيراً الحقيقة الكريهة، لم تشأ أن تصدقها. لكن الحقيقة كانت واضحة تماماً، وهي أن إليوت لم يعد يثق بها ليسلمها الأمور السرية.

تبددت آخر بقايا ثقتها بنفسها. كانت تريد أن تعتقد أنه رغم ما حدث بينهما، ما تزال حائزة على ثقته. وإذا بها تجد أن الحقيقة هي عكس ذلك.

كانت غارقة في أفكارها عندما عادت جيل من عيادة طبيب الأسنان.

سألت كايسي: «ماذا فعلت؟».

فأجابت جيل ضاحكة:

ـ إن طبيب أسناني رجل ساحر، لم يكن عليه سوى أن يطل برأسه من الباب قائلاً: ادخلي يا سيدة تيرنر حتى أستحيل إلى بنت في الخامسة من عمرها.

ضحكت كايسي، لكن دموعها أوشكت على الانهمار.

أثناء الفترة التي بقيت لها في «مؤسسة كوانتريل» حاولت جهدها

تجنب الرد على التليفون. كانت تعلم أنها سخيفة لأنها كانت تتمنى لو يتصل إليوت ويحمّلها رسالة سرّية، لكنها تعرف أنه لن يفعل هذا. فهو لم يعد يعتبرها موظفة في الشركة ولذا لن يخبرها عن أي شيء سري في رحلته إلى كندا.

كلفها الكثير من الألم أن تتقبل فكرة أن إليوت فقد ثقته بها ولولا حبها لجيل والخوف من أن تسيء إليها بالرحيل قبل إكمال الثلاثة أسابيع، لما عادت إلى مكتبها أبداً.

كانت سعيدة عندما وصل آخر يوم جمعة لها في المؤسسة، ولم يبق لها ما تعمله فيها سوى غرس شيء من الثقة في نفس زميلتها؛ ثقة تعلم أنها ستكون بحاجة إليها عندما يعود إليوت يوم الاثنين.

خرجت كايسي نهائياً من مؤسسة كوانتريل متمنية من كل قلبها لو أنها لم تعد إليها هذه الفترة. فما زالت الطعنة التي جرحت كرامتها تعذبها وما زال الألم حيّاً.

حاولت يوم السبت أن تتمالك نفسها وتستعيد اتزانها، ولكنها هذه المرة لم تنجح في ذلك. اشترت صحيفة، بدون حماسة، لكنها لم تجد الإرادة التي تجعلها تفتش فيها عن وظيفة أخرى.

عندما أقبل المساء، فكرت في الذهاب إلى النادي. لكنها نبذت الفكرة، إذ لم تشعر برغبة في اللعب.

سارت إلى فراشها، مصممة على أن تبذل المزيد من الجهد في الصباح... هذا إذا جاء الصباح!

كانت كايسي مستيقظة عندما رن جرس التليفون في الساعة الثانية، فنهضت من سريرها. فليس هناك شخص مهذب يتصل تليفونياً لمجرد الثرثرة في مثل هذه الساعة.. رفعت السماعة وإذا بها تتنبه وكأنها ميت عاد إلى الحياة.

ـ هل تحبين أن تأتي إلى المطار لكي تقلّيني؟

وكان هذا إليوت يسألها بصوت خشن.

اكتشفت أن الحب وحده قادر في لحظة واحدة، أن يجعلها تنسى كل ما عانته من آلام منذ ذلك الاتصال التليفوني.

أجابت بحدة، مظهرة آخر ما بقي لديها من مقاومة: «آسفة!»

ـ ألن... تأتي؟

سألها ذلك بصوت أصبح فاتراً فجأة بحيث لم يعد يشبه صوت إليوت على الإطلاق.

ـ ليس أمامك سوى طريقة واحدة يا إليوت كوانتريل، وهو أن تتصرف...

قاطعها: «كايسي، كايسي... أنا بحاجة إليك، يا كايسي».

بدت نبرة إرهاق في صوته الآن.

اغرورقت عيناها بدموع صامتة، ثم وضعت السماعة. أواه! ليته يعني ما يقول!

عندما عادت إلى سريرها، كانت يقظتها تامة، ولكن إذا كان ثمة خيار بين الدموع والعصيان، فهي تختار الأخير. فإليوت لا يحتاج إليها، بل كل ما يحتاجه هو سائق سيارة. من يظن نفسه ليتصل بها في منتصف الليل؟

جلست كايسي نصف ساعة تقاوم قلبها وتشعر بالغضب من إليوت الذي يظن أنها ستترك فراشها المريح الدافئ في أي ساعة يصل فيها إلى المطار.

لم يعد الآن مخدومها كما كان، ليتصل بها يأمرها بالقدوم لأخذه من... من المطار..

ـ آه! لا.. يا إلهي!

همست بذلك وهي تقف فجأة بكامل نشاطها، لترتدي ملابسها وتبحث عن مفاتيح سيارتها.

انطلقت في طريقها، متأكدة من أن مشكلة نظر إليوت قد عادت. ربما كان أعمى... أخذت توبخ نفسها. كيف أمكنها أن تتكلم معه بتلك الطريقة؟ ربما تصرف واضطر أن يطلب من شخص آخر أن يقلّه إلى بيته، رغم ما في ذلك من جرح لكرامته.

شعور عنيف من الإعزاز نحوه، تملك كايسي عند ذاك. لا أحد غيرها سيأخذه إلى بيته، لم يكن ثمة مجال للتفكير في أن أحداً غيرها سيقوم بذلك.

في الوقت الذي وصلت فيه إلى المطار، كان في ذهنها احتمالان: الأول هو أن إليوت يثق فيها حتماً، مهما كان سبب نسيانه تسليمها رسالة لإبلاغها للسيد ديفي حينذاك. الاحتمال الثاني والمؤلم هو أنها اغتنمت كل وسيلة لخذل ثقته فيها.

آه! ليتها خرجت بعد اتصاله مباشرة! أخذت هذه الفكرة تعذبها وهي تندفع نحو مكتب الاستعلامات في المطار. ماذا لو أنها وصلت متأخرة فلم تجده؟ ماذا لو ذهب؟

* * *

١٠ ـ أعمى القلب

لكن إليوت لم يذهب، إذ أرشدوها إلى الملحق الذي سبق وانتظرها فيه من قبل، فسارت إليه مسرعة مضطربة، هل أخفى نفسه لأنه لا يريد أن يلحظ عماه أحد؟

وقفت وهي تتنفس بصعوبة أمام باب القاعة حيث تعلم أنه موجود، وأمضت فترة تمالكت فيها أعصابها، مع أنها مدركة تماماً أن ليس بإمكانه أن يراها، إلا أنها استغرقت لحظة أخرى تحكّمت بها في أسارير وجهها، ثم فتحت الباب ودخلت.

كما حدث من قبل، رأت إليوت بقامته الفارعة المنتصبة، يقف وظهره إليها.

في غمرة شعورها بالحنان نحوه، أدركت أن الكبرياء، وإن سمع وقع خطواتها، تمنعه من الالتفات لئلا يكون القادم شخصاً غريباً... وبرقة زائدة، نادته:

ـ إليوت.

رأت عضلات كتفيه تتحركان بارتياح لسماعه صوتها، لسماعه صوت شخص يعرفه، ثم ارتد إليها ببطء.

نظر إليها طويلاً بصمت، بعينين لا تريان. وما لبث أن قال بصوت هادئ وكأن ما حدث له هزم عدوانيته وخشونته.

قال ببساطة: «ها قد جئت».

www.elromancia.com

هددت مشاعرها أن تفضحها، لشدّ ما تلهفت إلى احتضانه والتخفيف عنه. لكن هذا لن يعجبه، فهو لا يحب الشفقة ولا العطف من أحد، ولكن عندما نظرت إلى عينيه المتعبتين لم تستطع كتمان اهتمامها بأن الضوء في الغرفة قد لا يلائم عينيه.

سألته برقة:

ـ أما كان عليك أن تضع نظارتيك السوداوين؟

بدت الحيرة على وجهه، فغاص قلبها بين جنبيها وهي تفكر أن كل شيء أصبح مظلماً حوله بحيث لم يعد هناك فرق بين وضعه النظارات السوداء أو عدم ذلك.

أجابها بحذر:

ـ لقد بقيت أعمى مدة كافية يا كايسي.

أواه! يا إليوت، يا حبيبي. بكى قلبها، لقد وجد من الصعب احتمال عودة هذا البلاء إليه للمرة الثانية. لكنها تعلم أن لاوقت لديه للحب الممزوج بالعطف.

سألته: منذ متى وأنت بهذه الحال؟

عادت إلى عينيه تلك النظرة الحائرة، لكنه للمرة الثانية لم يتردد في الجواب:

ـ حدث كل شيء في الطائرة.

تملكها الذعر لفكرة أن العمى أصابه فجأة. هل كان هناك طبيب في الطائرة يعتني به؟ هذا ليس مهماً الآن. الأهم هو أن تقلّه إلى بيته.

قالت وهي تفكر في استدعاء طبيب في اللحظة التي تصل فيها مع إليوت إلى بيته: «سيارتي قريبة من هنا».

وتقدمت إلى الأمام لتحمل حقيبته الضخمة. لكنها صعقت عندما رأته يمدّ يده يمسك بذراعها، ثم يوقفها أمامه قائلاً فجأة:

ـ لن أذهب إلى أي مكان يا كايسي، قبل أن أعلم أين نحن.

جعلتها لمسته غير قادرة على فهم شيء مما قاله وعاد العطف يفيض من نفسها وهي تدرك فجأة أنه لم يعتد بعد على عالمه المظلم.

قالت تردد قوله بهدوء:

ـ أين نحن؟ إننا في المطار.

قال بلهجة ممطوطة وقد عاد إليه نفاد الصبر:

ـ أعلم، فلست أعمى.

فتحت فمها مذهولة:

ـ أنت.. لست أعمى؟ هل ترى بعينيك؟

ـ طبعاً. لقد شفيت عيناي تماماً.

ثم تغيرت ملامحه وبدا الذهول عليه هو أيضاً:

ـ لا أراك تظنين...

قاطعته غاضبة وقد تبدّد كل عطفها عليه:

ـ وما المفروض أن أظن غير ذلك؟ إنك سحبتني من فراشي في منتصف الليل...

وسكتت حين قال:

ـ آه، يا إلهي! ها أنا أفشل حتى قبل أن أبدأ.

لم تستطع فهم ما يقول، ولا السبب في مظهره المهزوم هذا وهي التي لم تلمس فيه ضعفاً من قبل. لكنها كانت من الغضب منه ومن نفسها بحيث لم تستطع الصبر لتعلم.

اتجهت بسرعة نحو الباب، ولكن إليوت سبقها إليه.

قالت ساخطة: «دعني أمرّ».

ـ بعد أن تسمعي ما أريد قوله، وليس قبل ذلك.

قالت بغطرسة:

ـ أؤكد لك أنني غير مهتمة بما ستقول.

www.elromancia.com

رأت أن هذا لم يعجبه، لكن إليوت القديم عاد الآن حين أمسك بها بدفعها ثم يجلسها رغماً عنها على كرسي.

- إذا شئت أن تخبريني بهذا بعد أن أنتهي من كلامي، فسأتقبله. لكن عليك أن تسمعيني قبل ذلك، حتى ولو كنت أخدع نفسي.

- تخدع نفسك؟ سيكون هذا يوماً مشهوداً.

نظر إليها متوتر الشفتين. لكن الغريب أنه كان يبدو متردداً وكأنه غير واثق من أين يبدأ. ثم سار مبتعداً عنها.

- ما دمت لن تدعني أخرج من ذلك الباب قبل أن تنتهي، فلن أزعجك. لكنني أتمنى أن أرى سريري مرة أخرى قبل بزوغ الفجر، إذا لم يكن لديك مانع.

قالت هذا بلهجة ساخرة وهي تراه يجرّ كرسياً ليجلس عليه أمامها. حين جلس وعيناه لا تتحولان عنها، أخذت تشعر بالحذر فقد تبين لها أنه لا يريد أن يفوته أي تعبير يبدو على ملامحها.

ابتدأ يقول وعيناه مسمّرتان على وجهها:

- هذه الأسابيع التي مضت كانت مليئة بالاجتماعات واتخاذ القرارات، وهذا لم يدع لي مجالاً للتفكير العميق في... في أمر معيّن، هو دوماً في ذهني.

رأت كايسي على الفور أن لديه مشكلة لا يمكن معالجتها بقرار سريع. أما ما هي تلك المشكلة، أو لماذا جعلته يخدع نفسه، فهذا ما لم تستطع فهمه.

قالت ساخرة:

- قلت إن كل شيء حدث في الطائرة، وما دمت لم تصب بعمى مفاجئ، فإلام كنت تشير؟

لم يكن وقع تهكمها حسناً، وبما أنها كانت تريد أن تريه الجانب الصارم منها، حدثت نفسها بأنها لن تهتم لعبوسه بها.

تجاهل تهكمها وهو يجيب بأدب:

- في اليوم الأول الذي رأيتك فيه، وجدتك ذكية سريعة الفهم.

قالت له بغضب: «مديحك هذا لن ينفعك» لكنها شعرت بغضبها يتبدد عندما أجابها بحدة، متجاهلاً كلامها:

- كانت هي المرة الأولى، أثناء رحلتي الطويلة، التي لا أجد فيها رغبة في التفكير في العمل. جلست بينما شردت أفكاري.

- وهل قدمت لك أفكارك الشاردة حلاً لمشكلتك؟

أجاب وهو يراقب وجهها:

- عليّ أن أعترف أن أي رؤية واضحة بشأن هذا الموضوع قد غامت مؤخراً.

أسكتتها الدهشة عدة ثوانٍ. لأن من المعروف أن وضوح تفكير إليوت كان خارقاً للعادة.

سألته: «ولكن هل استطعت الوصول إلى نتيجة بالنسبة لهذه المشكلة؟».

- هذا ما ظننته عندما كنت في الجوّ.. بدت لي النتيجة التي وصلت إليها حينذاك، قوية متماسكة. لذا كانت آخر ساعات الطيران عذاباً خالصاً، وما زلت في العذاب يا كايسي، لأن ما وجدته قد لا يكون سوى رمال متحركة.

تملك كايسي الارتباك، فإليوت الذي تعرفه لم يكن يغيّر رأيه في أي أمر.. إنه يملك عقلاً منطقياً من الطراز الأول.

حول عينيه عنها يتمالك نفسه، ثم عاد يسمّر نظراته عليها:

- أمضيت ساعات وساعات أفكر في كل كلمة، كل نظرة، كل حركة. رجعت بأفكاري إلى الوراء مرات كثيرة... إلى اليوم الذي وقعت عيناي فيه عليك لأول مرة.

هتفت: «عليّ أنا؟ هل تتكلم عن أمر أعرفه؟ عن عمل ساعدتك

فيه...؟».

قاطعها قائلاً:

- لا علاقة لهذا بالعمل. إن ما أتحدث عنه هو الشخص غير العقلاني الذي صرته، الرجل غير العقلاني الذي صنعت مني، وذلك منذ الثواني العشر الأولى على تعارفنا.

ردة الفعل الأولى عندها كانت عدم التصديق، ثم خطر لها أن إليوت قال ما يظنه في نفسه، وأنه حوّل موضوع الحديث من العام إلى الخاص.

سألت: «غير عقلاني؟ ليس من عادتك أن تكون غير عقلاني».

- لست بحاجة لإخباري بذلك. لكنني لا أعرف كلمة أخرى يمكنني استعمالها. في تلك الثواني أردت أن أفتح لك الباب... ولكن بدل ذلك رأيت نفسي أسير إلى مكتب شؤون الموظفين لأحضر ملفك.

حاولت أن تبدو هادئة:

- ما العبث في ذلك؟ هل هو حسك بالإنصاف...

هز رأسه نفياً وهو يقاطعها:

- هل من العقلانية أن أخبر جوناثان ديفي ألا يحضر إلى مكتبك إلا عند الضرورة القصوى؟

- هل السبب أنك لم تشأ أن يضيّع وقتك؟

لكنها شعرت فجأة بانحباس في أنفاسها.

أجاب: «بل لم أشأ أن يضيّع وقتك أنت».

قالت بجمود: «كنت هناك للعمل».

- هذا بالضبط ما أخذت أحدث نفسي به عندما تملكني الضيق بشكل غير عقلاني، بسبب الرجال الذين كانوا يتصلون بك يومياً.

قالت باحتجاج: «ليس يومياً».

- هكذا كان يبدو لي. ظننت، حين أبعدت جوناثان ديفي ومايك

كيري، أننا بقينا بسلام بدون مقاطعة من أحد. لكنني لم أحسب حساب سيمون وأنغس وقُنسنت في هذا العالم.

قالت باستياء، بدون أن تفهم سبب كل هذا:

- نسيت غيڤين.

أجاب: «لم أنسه، وكذلك وليام. ولكن صديقك سيمون جعل لديّ سبباً للتساؤل عما يجري لي».

- سيمون؟ لكنك لا تعرف سيمون.

- عرفت اسمه، كما عرفت أنك واعدته على اللقاء في نفس الليلة التي جعلتك تعملين فيها وقتاً إضافياً، كما أعرف أيضاً أنني كنت غبياً عندما ظهرت تلك الابتسامة الظافرة على شفتيك وأنت تخبرينني أن موعدك ليس تلك الليلة.

شهقت قائلة:

- هل جعلتني أعمل تلك الليلة لكي تمنعني من الخروج مع سيمون؟

- اكتشفت أنني رجل متملك.

ظنت كايسي أنه يعني تملك الرئيس لوقت سكرتيرته، لكنه تابع يقول ما أذهلها:

- تملكتني ثورة غضب حينما سمعتك تقولين له تليفونياً إنك ستذهبين إليه في العطلة الأسبوعية. كان هذا هو سبب تصميمي على زيارة دوغال إيتكين في تلك العطلة نفسها.

- هل... هل قررت بعد أن سمعتني أتحدث عن العطلة مع سيمون، أننا، أنا وأنت، يجب أن نذهب إلى سكوتلندا؟

- لم تكن تلك الرحلة إلى «بيزلي» مستعجلة، ولا كانت هناك حاجة حقيقية لذلك. فالعقود عادة هي مسؤولية «الإدارة القانونية» في الشركة، أما السبب الحقيقي فهو رغبتي في أخذك معي.

حدقت كايسي إليه بعينين متسعتين بدون أن تتكلم، بينما تابع هو قائلاً:

ـ إذا كنت بحاجة إلى المزيد من البراهين عن ذلك الرجل غير العقلاني الذي صرته، فتصوري أنني قطعت بسيارتي ذلك الطريق دون أن يخطر ببالي السفر بالطائرة؟

تملكها الذهول لما تسمع، وكل ما فكرت في قوله هو:

ـ لكنني أخبرتك قبل أن نذهب إلى «بيزلي» بأن ترتيبات تلك العطلة كانت لأجل مباراة التنس.

ـ لم أكن نسيت حرفاً مما أخبرتني به، وهذا ما جعلني غير منطقي على الإطلاق. لقد سرّني ما قلته لي، ولكنني، في نفس الوقت، كنت ساخطاً لعلمي بأنني كنت أتصرف بحماقة، لذا لم أتحمل التحدث إليك.

كان قلبها يخفق بعنف، لكنها لم تنس قط تلك الرحلة الصامتة. فقالت:

ـ لم تكد تتكلم حتى وصلنا إلى منزل دوغال.

ـ عندما دعانا ابن دوغال للبقاء لتناول العشاء، ظهرت عليّ صفة التملك وأنا أراه يريد بذلك الاستئثار بك، فلم أسمح بذلك.

ـ لكنك لم تظهر اهتماماً عندما رأيتني أبتسم له.

ـ هذا صحيح، لكنني شعرت بالهجران في الفندق عندما لم أجد طريقة لأجعلك توجهين إليّ ابتسامتك الرائعة.

كادت تبتسم، مع أن قلبها يخفق بعنف لكنها حاولت أن تتمالك نفسها.

ـ لم أشعر بأنك تشعر بالهجران إذ أخذت تتهمني بالتقرب إلى مدير الفندق.

ـ لم يذهب اتهامي هذا دون أجر حسن منك. أليس كذلك؟

سألها هذا وهو يرفع يده إلى وجنته حيث تلقى الصفعة منها.

تمتمت تقول وقلبها يخفق حين تذكرت عناقه الذي تبع تلك الصفعة:

ـ أنت تسببت بها لنفسك.

كان ينظر إليها بثبات، متذكراً ذلك أيضاً، ثم قال:

ـ أدركت بعد أن عانقتك، أنك أصبحت هاجسي يا حبيبتي كايسي.

أجفلتها كلمة الاعزاز التي يخاطبها بها، وامتلأ قلبها حناناً.

ـ آه!...

ثم جف حلقها تماماً حتى لم تستطع الجواب.

تابع يقول:

ـ تلك الليلة، أثناء الساعات الطويلة الأرقة، أدركت أن شعوري نحوك ليس هو التملك فقط.

سألته: «ألم يكن كذلك؟».

ـ الغيرة... وهي كلمة أصغر من أن تصف المعاناة الذهنية التي أعانيها.

ـ الغيرة؟ وهل... هل أنت تغار عليّ؟ ربما أنت تعني أنك شعرت بما يشبه الغيرة.. إنه شعور يتملك بعض الرؤساء حين يعيرون سكرتيراتهم اهتمامهم.

ـ ألم تسمعيني حين قلت إن لا علاقة لهذا كله؟

شعرت برجفة مفاجئة في داخلها حين سمعت ما قال من أن لا علاقة لغيرته بالعمل، وأنه تعرض إلى معاناة ذهنية بسببها.

بقيت لحظة صامتة، قالت بعدها:

ـ أنت... أنت لم... أتذكر أنك في الصباح التالي في الفندق... لم تتصرف... كنت في مزاج سيء للغاية ذلك الصباح.

سألها: «وماذا يمكنني غير ذلك؟ كنت مصمماً في البداية على عدم السماح لنفسي بالتورط في علاقة، مهما كانت الظروف. حينذاك لم أكن أسمح بالمزج بين المتعة والعمل».

ـ أنا معجبة بتقديرك البالغ لعملك الذي يجعلك لا تسمح بعلاقة مع سكرتيرة قد تغدر بك في النهاية. ولكن هل تقول إنك كنت تشعر بشيء ما نحوي؟

ـ ما أقوله هو إنني منذ عرفتك، غمرتني مشاعر لم أعرفها من قبل.

ـ أتعني... شعور التملك... الغيرة...؟

ـ بالإضافة إلى أشياء كثيرة أخرى، بحيث لم أكد أعرف نفسي... إذ أصبحت ذلك الرجل المتوحش السيء الطبع الذي صنعته مني. وفي غمرة جنوني، كنت مصمماً على ألا أسمح لك بالسيطرة على مشاعري مهما كلف الأمر. ثم مرضت برشح قوي فلم أستطع التوقف عن التفكير فيك وفي أنك وحيدة ليس لديك من يعتني بك. تلاشى عزمي على الابتعاد عنك، ووجدت أن عليّ أن أذهب للاطمئنان عليك.

كانت مشاعرها تعلو وتنخفض تبعاً لكلامه.

همست تقول وهي تبتلع ريقها متوترة:

ـ أتعني... أنك كنت تريدني؟

ـ لم أكن مستعداً للاعتراف بذلك.

كاد المعنى الذي تتضمنه كلماته يصيبها بالدوار. وكان هو يتابع قائلاً:

ـ كنت من الاهتمام بك بحيث كنت مستعداً لزيارتك في الليلة التالية أيضاً. وكان ذلك قبل أن أتصل بك وأعلم أنه لا ينقصك زيارات الرجال ولا الطعام الصيني.

قالت متلعثمة:

ـ صديقتي... التي كانت قادمة، واسمها سوزان.

صعق إليوت، ثم انفجر يقول ماداً يديه ليمسك بيديها يضغط عليهما:

ـ يا إلهي! ساعديني يا كايسي. ساعديني بحق الله! أهلكني التعرّق منذ اللحظة التي دخلت فيها من هذا الباب.. فقط لا أستطيع..

قالت باضطراب:

ـ ماذا تريد مني أن أفعل؟ ما الذي لا تستطيعه؟

ـ الانتظار. فوق.. في الطائرة، ظننت أنني سجلت كل شيء في ذهني. وعندما هبطنا إلى الأرض، أدركت ما سيحدث إذا استطعت جعلك تأتين إلى هنا. ولكن، لأول مرة في حياتي، لم أستطع الانتظار لأحصل على كل الأجوبة، وقد أجبتك عن كل ما تريدين معرفته، قبل أن تخبريني النتيجة التي قد تكون معي أو ضدي.

قالت بصوت مرتجف:

ـ لست واثقة مما تطلبه مني.

ـ ما أطلبه منك هو.. حسناً.. أريد أولاً أن أعلم ما الذي يعنيه فُنسنت جينر لك.

هتفت: «فُنسنت؟».

ـ هل تحبينه؟ جعلتني أظن ذلك.

حاولت جذب يديها من قبضته بحركة غريزية، لكنها غيرت رأيها وهي ترى الحدة في نظراته، كما منعتها عيناه من تحويل نظراتها عنه وهو يقول:

ـ كنت في غاية الألم لئلا أصبح واحداً في سلسلة المعجبين بك، كايسي. وبعد إمعاني بالتفكير وجدت أن كل أولئك غير مهمين عندك، ولكن عندما وصلت بتفكيري إلى فُنسنت جينر، توقفت غير واثق.

ـ أتعني.. أتعني أنك كنت مشغولاً..

ـ ثم أخذت في استجماع البراهين عما إذا كنت تحبينه، فتذكرت

www.elromancia.com

فجأة أنك لم تعودي للعمل عنده.

قالت بسرعة:

ـ لقد أحضر سكرتيرة أخرى.

لكن النظرة التي بدت في عينيه أنبأتها بأنه كان الأفضل لو لم تتكلم، لأنه يعلم، كما تعلم هي، أن بإمكان ڤنسنت أن يجد لها في شركته وظيفة أخرى.

ـ إلى أي حد كانت علاقتكما؟

خشيت أن تقول له إن صداقتهما كانت حميمة، فلاذت بالصمت.

عاد يقول:

ـ ثم سألت نفسي.. هل بإمكانك أن تتجاوبي معي بذلك الشكل عندما عانقتك لو كنت تحبينه؟

جف فمها وشدّت بيدها على يديه، ثم حدّقت إليه وهي تشعر برغبة في الهرب، لكن إليوت لم يدع لها فرصة للهرب إلى أي مكان. لأنه، بعد لحظة صمت، أخذ يخبرها بالنتيجة التي وصل إليها.

ـ فكرت في أن تمسكك بالأخلاق الرفيعة والقيم ربما يمنعانك أن تكوني عشيقة لرجل متزوج. ثم هل يمكنك يا كايسي أن تبذلي نفسك لرجل بدون حب؟

لم تستطع أن تتكلم أو أن تجد جواباً مراوغاً، وهتفت فجأة وهي تنظر إلى ساعتها:

ـ انظر إلى الوقت...

فقاطعها: «هل كنت تمنحيني حبك، تلك الليلة، بدافع الشفقة يا كايسي؟ أم هناك دافع آخر...».

أجفلت كايسي التي لم تعرف بماذا تجيب:

ـ لا شيء حدث بيننا، فلماذا هذا الاهتمام؟

قال بلهجة جادة للغاية:

التامة.

فقاطعته:

ـ وهكذا اتصلت بي في منتصف الليل...

ـ كان عليّ أن أراك، مهما كان الوقت غير مناسب. كان عليّ أن أراك لأنه بدا لي أنك تحبينني، وأنا أيضاً أحبك من كل قلبي.

توهج وجهها واختلطت مشاعرها، ولم تستطع الكلام.. أخذت تحدق إليه وفي داخلها صراع. تمنت لو تصدقه، ولكنها لم تستطع أن تصدق أنه يحبها.

عندما تلاشى أثر الصدمة، لاحظت أن هذه لعبة من إليوت يقوم بها لأسباب لا تفهمها، وأخذت تحدق إليه بعينيها الخضراوين، وإذا بها تلاحظ الإرهاق في وجهه.

رأت في توتر فمه وذقنه، التوتر والخشية مما عسى أن يكون جوابها.. كانت عيناه عنيفتين، ورأت فجأة عذاباً في وجهه وكأنه يتوسل إليها حتى يعلم ما إذا كانت تحبه.

سألته بصوت متهدج غريب عن صوتها المعتاد:

ـ هل... تحبني حقاً؟

أجاب: «أكثر مما كنت أظن. هل كنت أخدع نفسي في ما وصلت إليه من استنتاج؟».

قالت: «لا تقل هذا، يا إليوت. إنك، كالعادة، مصيب في استنتاجاتك» وابتسمت.

ألقى عليها نفس سؤالها بدون أن يرد ابتسامتها:

ـ وهل تحبينني أنت؟

ـ آه، نعم! أنا أحبك.

ـ إذن، هل لك أن تخبريني من فضلك عما تفعلينه على هذا الكرسي، بينما عليك أن تكوني هنا؟

- يا لك من وحش متسلط!

قالت ذلك ضاحكة ببهجة خالصة وهو يرفعها ويضعها إلى جانبه.

- أريد أن أحتضنك بعد كل تلك المحن التي عانيتها.

لم تعرف كايسي كم من الوقت مرّ عليها في هذا الوضع وكأنه لا ينوي أن يتركها تذهب. كل ما كانت تعرفه، وهي بين ذراعيه، هو السكينة والراحة اللتان كانت أحضانه توفرهما لها.

ألصق وجنته بوجنتها بدون أن يقول شيئاً، وكأن معرفته بأنها تحبه هي كل ما كان يريده. وما لبث أن تأوه، وأخذ ينظر إلى وجهها:

- كنت بحاجة إلى ذلك.

ثم عانقها.

فاحمر وجهها، وبادلته عناقه.

قال بحنان:

- يا عذرائي الغالية. لولا حياؤك الذي جعلك تبتعدين عني، هل كنت ستبادلينني الحب بدافع الحب أوبدافع الشفقة، في تلك الليلة التي دخلت فيها إلى غرفتي؟

أجابت ببساطة وخجل:

- بل بدافع الحب. بعد أن سمعت ذلك التحطم الفظيع في غرفتك، خفت أن يكون أصابك أذى، وهذا ما جعلني أهرع إليك.

- لا عجب أن تصطدم يداي بدون وعي مني بذلك المصباح.

- هل كنت تفكر في؟

- لم أستطع أن أمحوك من ذهني، فقد كنا أمضينا أمسية جميلة أثناء تناولنا العشاء معاً. لم أكن أركز على ما أقوم به حين اصطدمت يدي بالمصباح، ولا أدري بماذا أيضاً، وإذا بك تندفعين إلى غرفتي وكأنك مثال للجمال بقميصك المفتوح، وبوجهك الذي كان غاية في

البراءة. حتى ذلك الحين لم أدرك بالضبط كم أنت بريئة.

تمتمت تقول: كنت من الذعر بحيث لم أنتبه إلى إنني كنت أغير ملابسي استعداداً للنوم.

- رأيتك، حينذاك، رائعة الجمال. ولكنني حدثت نفسي بأن عليّ أن أكون قوي الإرادة. فسرت نحوك لأدفعك إلى الخارج، ولكن بدل ذلك رأيت يديّ في يديك فتلاشت مقاومتي.

- أواه، يا إليوت!

تنهدت بسعادة. لقد كان هذا ما حدث معها تماماً.

- لشدّ ما أحبك، يا كايسي. لقد عرفت في تلك الليلة أنني أحبك. كان هذا هو السبب في ثورتي وغضبي إذ علمت أن تجاوبك معي كان بدافع الشفقة وليس الحب.

هتفت مجفلة:

- هل كنت تعلم حينذاك أنك تحبني؟

- علمت ذلك عصر ذلك اليوم عندما خرجنا للنزهة، فسقطنا فوق بعضنا بعضاً على الجليد. كنت تصفين لي المشهد، وكان صوتك يسحرني، وعندما سقطنا أمسكت بك بين ذراعي. وفجأة، شعرت بأنني أريد أن أستمر في احتضانك، فأدركت حينئذ أنني أحبك.

سألته حالمة:

- وهل قبلتني، حينذاك؟

قال باسماً:

- قبلة صغيرة فقط. لم أستطع المقاومة، ولم أصدق أن هذا الشعور غير المرغوب فيه قد تملكني. عند ذلك أدركت أن عليّ أن أعود إلى البيت لأستعيد تعقّلي، فلم أجرؤ على الاستجابة لرغبتي في إبقائك بين ذراعي.

ولأنها لم تستطع، هي أيضاً، المقاومة طوقته بذراعيها، وكادت تصرخ من فرط السعادة. مرت لحظات قبل أن تتذكر الحديث الذي كان دائراً بينهما.

ـ هل وجدت التعقل الذي كنت تبحث عنه عند عودتنا إلى البيت؟

ـ لم أجد ذلك إلا بعد أن ظننتك تتجاوبين معي بدافع الشفقة. ولكن، حتى في ذلك الحين، ترددت في نبذك من حياتي.

قالت تعاتبه:

ـ لكنك طردتني من العمل.

ـ لم أكن فكرت في ذلك مسبقاً. أذقتني نار جهنم من الغيرة عندما صرّحت بأنك تحبين ڤنسنت. ثم تابعت قائلة إنك تفضلين العمل معه على العمل معي.

ـ أواه! يا حبيبي.

صرخت بهذا بصوت معذب وقد أدركت أنها جرحته كما جرحها.

ـ وطبعاً حدثت نفسي أنني مسرور لأنني لن أراك بعد ذلك. لكن العطلة الأسبوعية مرت وتلاها يوم الاثنين، فالتهب الشوق في نفسي لرؤيتك. وهكذا، جاء نهار الثلاثاء وأنا أرفع السماعة للاتصال بك.

قالت مازحة:

ـ لكنك لم تكن بالغ التهذيب.

قال باسماً: «وكيف لا أكون فظاً وأنا الذي كنت أزهو دوماً بقوتي في مواجهة الضعف؟ شعرت بأنني عدت إلى خداع نفسي، فوضعت السماعة بكبرياء حمقاء. لقد حاولت، في الحقيقة، حمل نفسي على كرهك، بقية الأسبوع. وبعد ذلك سافرت إلى كندا ورحت أحاول نبذك من ذهني ومن كياني».

ـ أقفلت التليفون قائلاً (ومن يريدك؟)... هاتان الكلمتان دمرتاني.

تنفس نادماً ثم احتضنها قائلاً: «أنا أريدك يا فتاة. أنا أحتاجك.. احتجتك معي طوال مدة غيابي. إن حاجتي إليك أصبحت هاجساً، حتى إنني عندما اتصلت تليفونياً بسيسيل غلوڤر ووجدتك على الخط بدلاً منه، كنت من البهجة لسماع صوتك بحيث نسيت تماماً الغرض من اتصالي».

شهقت قائلة:

ـ آه! وأنا التي عذبني عدم تركك رسالة لأجل سيسيل ظناً مني أنك لم تعد تثق بي، لأن ليس من عادتك النسيان.

ـ آه! يا إلهي.

هتف بذلك وقد أجفل، وهذا يعني بوضوح أن فكرة عدم الثقة بها لم تخطر في ذهنه.

قالت وهي تشعر بالذنب لتفكيرها بهذا الشكل:

ـ أنا آسفة.

قال لها ساخراً، مقطباً جبينه:

ـ عليك أن تكوني كذلك. ولكن نتيجة تلك المخابرة كانت حسنة نوعاً ما.

سألته: «هل شعرت بالسرور بعد ذلك»؟

ـ ليس بالضبط. إنما في الطائرة، عادت إليّ ذكرى ذلك الاتصال، وكيف أنك عدت إلى العمل أثناء غيابي، مع أنك نفرت من العودة أثناء وجودي، وذلك ما أطلق سلسلة أفكار أخرى.

ـ تلك الأفكار التي جعلتك تستنتج أنني أحبك؟

أوماً، قائلاً:

ـ رأيت أنك لم تعودي للعمل مع ڤنسنت فتساءلت هل من الممكن أن تكوني مثلي، تتصرفين بعكس شعورك للتغطية؟

قالت باسمة: «هل قررت أنني قد أكون كذلك؟».

- في نهاية تلك الرحلة بالطائرة، شعرت أنني لا أستطيع الصبر لكي أعلم الحقيقة. عندما هبطت الطائرة فكرت أنني إذا جعلتك تأتين إليّ في المطار لتأخذيني، مع أنك لم تعودي موظفة عندي فذلك يدل على أنني أعني شيئاً بالنسبة إليك.

قالت: «لم أكن أريد المجيء. لقد ضيّعت نصف ساعة في إقناع نفسي بذلك. كان ذلك قبل أن تخطر لي الفكرة المرعبة في أن نظرك قد ذهب مرة أخرى».

قال برقة ورضا: «مهما كان السبب فقد جئت، ولكن ليس قبل أن أتذوق طعم الهزيمة المر».

- هل ظننت أنني لن أحضر؟

- ذلك لأنك تأخرت.. كنت على وشك الاعتقاد بأنك لا تشعرين بشيء نحوي، ثم سمعت وقع خطواتك التي اتجهت إلى هذه الناحية وكنت من الانفعال بحيث أردت أن أركض إلى الباب لأجرّك إلى الداخل. لكن كان عليّ أن أدير ظهري لكي أتمالك نفسي... لأنني، يا حبيبتي، لم أكن أعرف كيف أواجه مرارة الخيبة إذا لم تكن تلك خطواتك.

لكن إليوت ما زال يشعر بالغيرة من ڤنسنت، إذ أخذ يمرّ بإصبعه على أنفها مفكراً، ثم سألها بهدوء:

- ألم يحدث أنك أحببت ڤنسنت مرة؟

ترددت، لكن صدقها منعها من تجنب السؤال خاصة بعد وثوقها من حب إليوت لها.

- لقد حزرت أنت بسرعة السبب الحقيقي الذي دفعني إلى ترك شركة جينر، لكنني ما زلت غير واثقة من السبب الذي جعلني ألقي بذلك السؤال الغبي، في أثناء المواجهة، عما إذا كنت أنت متزوجاً. ربما كان خوفاً من الوقوع في المشكلة نفسها. ظننت أنني أحب

ڤنسنت، ولكنني سرعان ما اكتشفت أن شعوري نحوه مهما كان نوعه، فهو ليس الحب، وإنما هو مزيج من العطف والحنان.. كان رجلاً رقيقاً، بحاجة دائمة إلى من يستمع إليه بعطف عندما تصبح مشاكله الزوجية أكثر مما يستطيع تحملها.

- أتقولين إنك سرعان ما اكتشفت أنك لا تحبينه؟

قالت مازحة: «إذا كنت، يا سيد كوانتريل، تريد أن تعلم، فأخبرك بأن تفكيري في ڤنسنت أخذ يقل شيئاً فشيئاً منذ عرفتك».

ثم غيرت لهجتها قائلة بجد:

- لقد أدركت، عندما دخلت لانا نيزوم لأول مرة إلى مكتبك وأخذت تلقي عليك يميناً وشمالاً كلمة (حبيبي)، ما هو شعور المحب حقيقة، وكيف تفتك الغيرة بنفسه.

قال بحنان فائق:

- أواه! يا حبيبتي الغالية، لقد أحببتني منذ ذلك الحين إذن! كنت تغا...

وسكت وقد بدا الجد على ملامحه وهو يخبرها بأن لانا نيزوم لا تعني له شيئاً.

أردف يقول: «لا داعي لأن تغاري منها، يا حلوتي.. صدقي أنه لم يكن لديّ فكرة عن اللسان القذر الذي تملكه تلك المرأة».

- آسفة لأنني استفززتها فثارت إذ عندما شعرت بالغيرة منها، أشرت بقفا يدي لها لتدخل إليك، فلم يعجبها ذلك، وكان أن جعلتك تخسر حبيبة.

قال بدون تردد:

- لم تكن حبيبتي ولم تكن صداقتنا حميمة كما أوهمتك أنا. كنت، في الواقع، قد نسيت أمرها تماماً إلى أن غلبتني أنانية الرجل لأثير اهتمامك. أبعدت غيڤين إيتكين عندما اتصل يطلب عنوانك ورقم

تليفونك، لكن ما إن عدت من إجازتك المرضية حتى رأيتك في الممر تعبثين مع جوناثان ديفي.

سألته بلطف: «أعبث؟»

ـ هكذا بدوت لي حينذاك. لقد تسللت إلى كياني يا كايسي، وهذا لم يعجبني. ولم أحب التفكير في أنك تعلمين أنني منجذب إليك. لا بد أنك لاحظت لهفتي إلى معانقتك حين كنت أسوّي الوسائد خلفك في شقتك. وما اتصلت بلانا نيزوم إلا لغرض واحد، هو أنني أقسمت ألا أدعك تضمين اسمي إلى قائمة عشاقك، ولهذا أردت منك أن تظني أن لديّ امرأة غيرك.

ضحكت كايسي وقد تلاشى من نفسها كل أثر للغيرة: «ليس لديّ قائمة عشاق».

ـ وأنا كذلك. من الآن فصاعداً، يا حبيبتي، لن يعود لديك مكان لبقية القطيع... سيظل الرجال يعجبون بجمالك، أعلم هذا، ولكن عندما يكون خاتمي في إصبعك، فسيبقى إعجابهم بك من بعيد جداً.

تصاعدت خفقات قلبها:

ـ خاتمك؟ هل.. هل نحن... أتعني... أننا.. سنصبح خطيبين؟

ـ بل زوجين، وكلما أسرعنا في ذلك، كان أفضل لأجل سكينتي النفسية.

ـ لكنك قلت إنك لن تتزوج... وإنك رأيت...

قاطعها: «أحوال المتزوجين. أرجو أن تغفري لي ذلك».

قالت ضاحكة:

ـ سأغفر لك كل شيء، ويسرني أن آخذ منك عزوبتيك.

ـ امرأة سيئة أنت.

وعانقها بحب مرة بعد أخرى، وأخيراً قال:

ـ كيلا يرتفع ضغطي أقترح أن نخرج من هنا.

ابتسمت له، ووقفت فجأة عالمة أنها لن تستريح إلا بعد الاعتراف. أما هو فحمل حقيبته ولما رآها لا تتحرك وقف هو أيضاً ينظر إليها متسائلاً.

ـ إليوت.. لم أكن صادقة معك تماماً.

ـ لم تكوني صادقة؟

كسا الجمود وجهه، وكأن تأكده من حبها كان أسرع مما ينبغي، وأعد نفسه لأكبر خذلان في حياته.

قالت بسرعة:

ـ ذلك الحين، في بيتك، عندما لم أستطع الذهاب إلى بيتي بسبب إقفال الطرق بالثلوج. حسناً، أعني كان بإمكاني أن أذهب، فقد كانت الثلوج قد أزيلت...

ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة:

ـ أعلم هذا.

ـ هل كنت تعلم؟

ـ كان بإمكاني أن أرى أن الثلوج لم تعد تسد الطريق. هل من الممكن أنك أردت البقاء في بيتي بقدر ما كنت أريد أن تبقي؟

ـ هل كنت تريد أن أبقى؟

قال مازحاً بلهجة جافة:

ـ هذا طبيعي. لقد وجدت سبباً آخر يجعلني أبقيك في بيتي، بعد أن سئمت التقطير في عيني كل أربع ساعات وسئمت الحرمان من القراءة. ومنذ أدركت أنني أحبك أصبحت أعذاري بلا نهاية.

ـ وكنت تتظاهر بأن هذا لم يحدث؟

ـ لم يكن من السهل أن أقبل بحب غير متبادل، كما ظننت. هل كنت تريدين البقاء في بيتي تلك الليلة؟

قالت باسمة: «نعم».

ـ هل تحبين القيام بزيارة أخرى، فقريباً جداً ستكون زيارتك دائمة.

«نعم». ثم ضحكت ببهجة خالصة.

ـ تعالي إذن.

وأمسك بذراعها يخرجها من الغرفة.

كانا خارج مبنى المطار، عندما اتجهت هي إلى ناحية، واتجه هو إلى ناحية أخرى ثم توقف الاثنان عن السير.

قالت: «سيارتي من هذه الناحية».

قال وهو يشدّ على ذراعها يقودها في الاتجاه الذي يريده:

ـ سيارتي أسرع.

هتفت تقول: «إليوت كوانتريل!».

لقد أدركت أن سيارته موجودة طوال الوقت في الموقف.

نظر إليها وعلى شفتيه ابتسامة ماكرة جعلت قلبها يخفق. انحنى يعانقها ثم يسألها:

ـ أتحبينني؟

أومأت بالإيجاب وقلبها يتألق في عينيها. ثم ذهبت معه إلى حيث يريد.

* * *